19 me, année No 919

Le Caire 12 - 2 - 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩١٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ — ١٢ فبراير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

الدين والسلوك الإنسانى

للأستاذ عمر حليق

— ٣ —

لن يستطيع الباحث أن يمعن فى دراسة الدين والسلوك الإنسانى دون أن يتسلح بالنظريات والشطحات الفلسفية بالإضافة إلى تسجيله للظواهر الواقعية فى علاقة الفرد بالمجتمع

والباحث يجد نفسه والحالة هذه كدقات الساعة يميل تارة إلى النظريات وطورا إلى الواقع، فهذا نهج أقل ما يقال فيه أنه سليم

فنظرة الماركسية إلى الدين — وهى نظرة مادية فى كليتها — لا تعترف بتلك الناحية الأصيلة فى فلسفة الدين وهى ما اصطلح الناس فى الغرب على تسميته بالاختبار الدينى (١). والذى يؤكد صلاح هذا النهج فى دراسة الدين كما شرحه الماركسيون بأنه وليد الأوضاع الاجتماعية ؛ فمثلا فى سلوك الطبقات التى تمارسه والتى هى بدورها متأثرة مسيرة بنفوذ ذوى المصالح المادية من رجال الدين ومن يلوذ بهم من القوى والعناصر الاقتصادية التى يربطها بالنظم الدينية روابط تقليدية متينة (٢). ففى طبيعة التعاليم الدينية (وفى الإسلام على وجه الخصوص) دعوة سافرة إلى تقييد الحد من سلطات المتاجرين باسم الدين والذين يدورون حولهم من أصحاب المصالح الاقتصادية والسياسية ؛ وخلو الإسلام من الكهنوت قد جعل طبيعة التعاليم الدينية فى متناول الناس، بها يستهدون دون الحاجة إلى الوساطة، ومنها يستمدون سياسة عملية لتحسين الأوضاع الاقتصادية وتحقيق المساواة والعدالة فى العلاقات الإنسانية وقد تعرض ماكس ويبر لبحث هذا فى أسلوب منطق فريد فى كتابه عن « التاريخ الاقتصادى العام » (٣)

وتاريخ الإنسانية سواء أكان سياسيا أم اقتصاديا أم اجتماعيا ملىء بالحوادث التى لعب الدين فيها دورا إيجابيا فى صميم المصلحة المادية للكثرة من الناس وكم من عالم دينى حمل لواء الإصلاح السياسى والاقتصادى !

وفوق ذلك فإن للدين مزية تتعطش المجتمعات (والغربية منها على وجه الخصوص) لتحقيقها فى هذا العصر القلق المتفكك وأعنى بها التكافل الاجتماعى. وتاريخ الإسلام الاجتماعى فى هذا المضمار فريد ؛ فقد صهر الشعوب المجتمعات التى اعتنقت فى وحدة عاطفية واجتماعية وسياسية (ومن ثم اقتصادية) على نحو فشل

١) كتاب وليم جيمس عن « ألوان الاختبار الدينى » من أمتع ما كتب فى هذا الموضوع. فهو تسجيل للشطحات الصوفية فى إطار الواقعية المستمدة من فلسفة الذرائع (البرجماتزم)

٢) راجع البيان الشيوعى

٣) راجع ماكس ويبر

Max weber, General Economic History

الفكر السياسي المعاصر في تحقيقه في عصبة الأمم المنحلة سابقا وفي هيئة الأمم المتحدة في الآونة الحاضرة

وهنا يجدر بنا أن نتريث قليلا لنتساءل عما إذا كان الدين أمرا يختص بالفرد دون المجتمع وعما إذا كان السلوك الانساني هو سلوك سلبي أم إيجابي ، بمعنى أنه مقصور على علاقة المرء بربه دون علاقة المرء بمجتمعه

والجواب عن هذا التساؤل كان ولايزال مثار نزاع . فالصوفية من المسلمين مثلا اتجهوا في أقوالهم وسلوكهم الديني إلى أن وظيفة الدين هي وظيفة سلبية . ولعل هذا ما استدعى نقمة بعض أئمة المسلمين قديما وحديثا على الصوفية

ففي القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية وتراث السلف الصالح أجوبة عديدة على أن وظيفة الدين لا تقتصر على علاقة المرء بربه . والواقع أن طبيعة التعاليم الاسلامية تثبت وظيفة الدين الاجتماعية بجانب وظيفته الروحية؛ فهناك فقه إلى جانب تشريع . لقد اكتشف المسلمون ذلك وعملوا به . وكان الرسول عليه السلام أول من جاهر به . والقصة التي تروى عن عمر بن الخطاب وكيف انتهر رجلا كان يلازم المسجد ليل نهار مثل آخر على انتباه الاسلام إلى هذه الوظيفة المزدوجة للدين ويخيل إلي أن الاتجاه الجديد في الفكر الغربي حول وظيفة الدين يحذو حذو الإسلام ٤)

وقد أخذ بذلك (فردريك هيجل) أحد جهابذة الفكر الغربي ودعاته الذي قال « إن ممارسة طقوس العبادة والصلوات أقوى من الناحية الإيجابية في توجيه السلوك الانساني من الشرائع والقوانين المدنية ٥ »

والواقع أن (هيجل) كان من أوائل من لفت النظر إلى وجود « المنطق الاولي ٦) في علاقة النظريات والحقائق الواقعة في موضوع الدين ، فقال إن هناك تواكلا مشتركا بين النظم التي لها كيان إيجابي في المجتمع كالعائلة والقبيلة والدولة والشعب ، وكلها حقائق اجتماعية ملموسة ، وبين النظم الفكرية كالقانون والعلوم والدين . فالكيان الإيجابي المحسوس هو كالنظم الفكرية - وفي طليعتها الدين وكلاهما جزء من شجرة الحياة ٧)

فالإنسان في المجتمعات البدائية لا يكتفي بأن يرث النظم الفكرية الدينية عن أسلافه ، وإنما يسعى ما استطاع لأن يتخذ منها أسلحة يواجه بها مشاكله الدنيوية ، هذه المشاكل التي تختلف طبيعتها باختلاف التطور الحضري . ومن هذا نتبين أمرين :

أولهما : أن السلوك الديني غريزة طبيعية يمتثل إلى ندائها الفرد لأنها خلقت فيه

ثانيهما : أن هذه الغريزة تتخذ في بعض الأطوار شكلا يجعل منها ذخيرة ثقافية تتحكم في الأوضاع الاجتماعية بالإضافة إلى كونها ذخيرة روحية تتحكم في علاقة المرء بربه سواء أكان هذا الرب صنما أم مجلا كما هو الحال في المجتمعات البدائية ، أم إلها فردا صمدا كما هو في الأديان التوحيدية

وإلى الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي (أميل دركهايم) يعود فضل كبير في دراسة هذه الوظيفة المشتركة (الروحية والدنيوية) للدين دراسة علمية على ضوء ما ألم به من معرفة بالمجتمعات البدائية وتحليله للمجتمعات الحضرية (٨)

فقد ثار دركهايم ومعه (باريتو) ٩) على الفلسفة الواقعية التي سادت أوربا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر التي كانت ميالة إلى الحط من قيمة الدين إثر انتشار الفلسفة الداروانية (نسبة إلى داروين) والماركسية في أوربا ، وفلسفة الذرائع (البرجماتزم) في أمريكا

قام دركهايم - وإلى حد ما باريتو - بدراسة وظيفة الدين المزدوجة على نهج جديد ، فلم يعتمد دركهايم على التفلسف في دراسة الدين ولا على استنتاج الشواهد العلمية من التاريخ الديني ،

---

٤) راجع J. Macmorry. The Structure of Religious Experience

٥) Fredrich Hegel, Lectures in philosophy and Religion

٦) Circular Reasoning

٧) النظريات الحديثة في علم الانتروبولوجيا زادت في إثبات صواب الرأي على ضوء الدراسات التي قام بها أمثال (مالينوفكي) وروث بنديكت ومرغريت ميد وبواز وغيرهم

٨) راجع E. Dnrkheim, Les Formes Elementaire de la Vie Religieuse

٩) الفيلسوف الإيطالي Vilfredo pareto Trattata di Sociologia Generale

وإنما لجأ إلى دراسة الموضوع دراسة مفصلة فى مجموعة إنسانية معينة من سكان استراليا الأصليين

وان يعنينا فى هذا البحث أن نستعرض تفاصيله ودراسته، وإنما يهمنا أن نتعرف استنتاجاته الرئيسية

واستنتاجات دير كهايم على نوعين : واحدة تعالج فلسفة المعرفة ١٠) وأخرى تعالج علم الدين الاجتماعى. وكلاهما عند دير كهايم متواكل متشابك

ويرسم دير كهايم خطين فى مستهل دراسته فيطلق على الأول ما سماه «قدسى» ويطلق على الثانى «دنس» ويضيف دير كهايم تحت هذين الخطين أشياء ملموسة محسوسة. وهذا التصنيف لا يحدد الصفات الجسمانية بطبيعة تلك الأشياء وإنما يحصر ذلك التحديد فى مفهوم الناس لها ومبلغ تأثرهم بها وسلوكهم إزاءها

فالأشياء القدسية فى تعريف دير كهايم هى تلك التى ينطوى مفهوم الناس لها على فضائل فريدة تجلب السعادة والنفعة. وسلوك الناس تجاه هذه الأشياء القدسية لا يمكن أن يحسب فى عداد السلوك الاعتيادى، إذ أن له مزايا خاصة وفيه الكثير من الاحترام الخالص الأصيل

والناس لا تستخدم الأشياء القدسية فى الشؤون الاعتيادية وإنما تلجأ إليها فى الأزمات التى لا تمت إلى المادة إلا بصلة بعيدة

والشؤون الدنسة عند دير كهايم هى تلك التى ترتبط ارتباطا وثيقا بالنشاط الاقتصادى المادى فى السلوك الإنسانى ١١)

فإذا قتل الهندى الأحمر من سكان استراليا الحيوان القدس ليأكله فإنه يفعل ذلك أثناء الطقوس الدينية فقط . والناحية المادية فى هذا العمل مرتبطة بالناحية القدسة ولا دخل للمنفعة الاقتصادية المادية (أكل اللحم) فى هذا العمل إذ أنها لا تتوفر إلا عن طريق القداسة. وأكل لحم الحيوان القدس لا يتم إلا فى ظروف من القداسة التى لها مواعيدها ومواسمها الزمنية الخاصة. وحول هذه القداسة حالات من الطوطمية تحددها وتتحكم فى سلوك الفرد إزاءها

والدين فى مفهوم الأقوام البدائية محصور العلاقة فى الأشياء المقدسة

ويصنف دير كهايم الظواهر الدينية فى نوعين هما «العقائد» و«الطقوس»؛ فالعقيدة لون من التفكير، والطقوس نشاط عملى وكلاهما متشابك ، فلا تتم معرفة الطقوس الدينية إلا بمعرفة العقيدة التى استدعت ممارستها واستوجبت القيام بها

والدين عند دير كهايم نظام مستقر من العقائد، والطقوس تعيش عليها جماعة من الناس محورها بيت العبادة ومن يكون به من كهنة ورعية ١٢)

ويستنتج دير كهايم من ذلك أن الدين الذى يتمكن تمكنا قويا متينا فى أتباعه لا يمكن أن تكون تعاليمه مجرد خيالات ورؤى لا تسندها الحقائق الواقعية ١٣)

وكلما ازداد تعلق الناس بتعاليم دينهم وطقوسه كانت تلك التعاليم أكثر صلة ووثوقا بالحقائق المادية فى العالم الذى تحيط به ولعل هذا الرأى يلقى ضوءا على سر تعلق الـلمين بالتعاليم الجوهرية فى دينهم الحنيف طوال هذه الأجيال والقرون

وينتقد دير كهايم بناء على هذه النظرية ما قال به بعض مفكرى عصره من أن وظيفة الدين هى الحياة الروحية التى لا تربطها بالواقع روابط وثيقة ، وأن تعاليم الدين ما هى إلا انطباعات الإنسان عن طبيعة الأشياء المادية التى تحيط به

وركز دير كهايم انتقاده لهذه النظرية فى أسلوب النفى المنطقى فقال : لو أننا افترضنا أن تعاليم الدين ليست إلا انطباعات الإنسان عن طبيعة الأشياء المادية التى تحيط به كالعواصف والبراكين والخوارق الطبيعية ، فكيف نفسر تعلق الكثرة من العلماء الذين حافظوا على سلوكهم الدينى مع أنهم استطاعوا تفسير طبائع الأشياء تفسيرا علميا مستندا إلى الاختبار والبحث والاستقراء؟ وعلوم النفس لم تفسر بعد تفسيرا عمليا مرضيا هذه الظاهرة التى تزداد رسوخا بتعمق العالم فى دراسة الكون ومعالمه

١٠) Epistomology

١١) Le travial est la forme emente de l'activite protane

١٢) Durkheim, «Forms» Elemeotaires p,95

١٣) Epid P,3

واستنتج دير كهايم من ذلك أن فى الدين عنصرا ثالثا بالإضافة إلى عنصرى الروح والمادة. وأطلق دير كهايم على هذا العنصر الجديد اسم (الحقيقة الاجتماعية)(١٤)

ومن ثم اندفع دير كهايم فى دراسة الصلة بين الدين والكيان الاجتماعى فرأى أن الأشياء المقدسة (ومن ثم المثل الأخلاقية التى تنبث منها) لا تربطها بالله إلا روابط القداسة . فليست العبرة (فى رأى دير كهايم) فى أن يعبد امرؤ شجرة أو عجلا أو شمسا أو قمرا أو إلها فردا صمدا، إنما العبرة فى الفرد إزاء هذه المؤلهات، وامتثاله للقيم الروحية والأخلاقية التى تحيطها بهالة من القداسة ورأى دير كهايم فى نظرية الطبيعيين إلى الدين عجزا دعيا فى تفسير الحقائق التى تتصل بالقداسة اتصالا أصيلا غريزيا . وكل ما فعله الطبيعيون أنهم وجهوا اهتمامهم إلى تفسير القداسة فى الشؤون الطبيعية كالعواصف والبراكين والزلازل وتأثر العاطفة الإنسانية بها وإحاطتها بهالة من « القداسة والألوهية » والشذوذ ندرة، والنادر لا حكم له

ووجه الضلالة فى تفسير الطبيعيين للسلوك الدينى أنهم أخطأوا إدراك الحقيقة فى مصدر القداسة والألوهية

فخواص العنف فى العواصف والزلازل والبراكين ليست الدافع الرئيسى لتقديسها فى المجتمعات البدائية . فالأشياء المقدسة ليست إلا رموزا . وخواص الرموز أنها تعبير للأهمية والقيم والمعانى التى يواجهها الفرد فى نشاطه اليومى روحيا كان هذا النشاط أم ماديا

والصلة بين الفرد والرمز الذى يقدسه هى صلة اجتماعية بالإضافة إلى كونها صلة روحية. والفرد لا يتلمس معنى لهذه الرموز بقدر ما يطلب فيها ملاذا مما استعصى عليه من الأزمات الروحية والاجتماعية

فليست العبرة إذن فى طبيعة الرمز المقدس؛ إنما العبرة فى المثل والقيم والمعانى التى اصطلح الناس على إلحاقها به

وعلى هذا المنطق يشرح دير كهايم علاقة الطقوس الدينية بالحقائق الاجتماعية ، فلا يهمه أن يتعرف على طبيعة هذه الطقوس وإنما يتشوق إلى إدراك القيم والمثل والمعانى العميقة التى تمثلها وترمز لها

وإصرار الطبيعيين على نعت السلوك الدينى بأنه خال من المنطق السديد يعود إلى التباس الأمر عليهم وخلطهم بين طبيعة الرمز وبين ما يرمز إليه من قيم ومثل ومعان روحية واجتماعية

ويستخلص دير كهايم من ذلك أن العلوم الطبيعية لا تستطيع أن تدرك كنه الدين فى مجالاته الروحية والاجتماعية ؛ لأن العلوم الطبيعية مادية لا تقنع إلا بالملموس والمحسوس . وفى نظام الكون وفى طبيعة النفس البشرية إحساسات ومشاعر لا تلمس لمسا . وهذا يفسر اتجاه الجهابذة من علماء الطبيعة والرياضيات نحو التفاسير الدينية فى أرقى مراحل البحث فى طبيعة الأشياء عندما يستعصى عليهم التفسير الشامل الإيجابى المقنع (١٥)

نيويورك (للبحث صلة) عمر حليق

(١٥) اعترف بهذا مؤتمر علماء الذرة الذى عقد فى التاسع عشر من شهر ديسمبر ١٩٥٠ فى جامعة روشستر فى ولاية نيويورك ؛ فقد أعرب أعضاء هذا المؤتمر وهم صفوة علماء الذرة والفيزياء فى الولايات المتحدة الأمريكية بأن تحطيم الذرة والتصرف على تكوينها والتغلب عليه قد طوح بالنظرية التى سبق لعالم يابانى أن فسر بها حقيقة تماسك الكون تفسيرا علميا نال به جائزة نوبل للفيزياء لعام ١٩٤٩ . وقد أوجد هذا التطور فى علم الذرة والتفسير الفيزيائى لتماسك الكون بلبلة فى تفكير علماء الطبيعة والرياضيات الفلسفية . وقد أعرب عن هذه البلبلة البروفسور انشتاين فى أحد تصريحاته الأخيرة . وانشتاين قطب من أقطاب هذه الناحية من الثقافة الطبيعية

(١٤) Fait Sociale

المرأة والأزهر

جامعة الزهراء ... ! ؟

الأستاذ محمد محمود زيتون

يستعد العالم الإسلامي الآن للاحتفال بالعيد الألفي لأقدم جامعة في الإسلام . وذلك على أثر اللفتة الملكية الكريمة التي تفضل بها جلالة الفاروق المعظم على الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

والاحتفال بهذه الذكرى المجيدة إنما ينطوي على المعاني السامية التي حرص هذا الجامع العتيق على أدائها منذ أقدم العصور ، فلم يعبأ بخيول نابليون ، ولا بمدافع الإنجليز . ذلك بأن الجامع الأزهر هو الثقافة الإسلامية تجسمت في ألف سنة من الزمان ، وانبثقت أشعتها على ألسنة العلماء ، وتحت ألوية الزعماء ، وبين صفحات الكتب والمجلات وعلى متن الأثير اللاسلكي

ويكفي الأزهر أن تحتل رسالته الإنسانية مكانها الرفيع من تاريخ العلم ، لأنه صاحب اليد الطولى في رعاية لغة القرآن ، فكان رجاله غواصين على لآلىء الحكمة والشريعة ، وفرائد الأدب والتاريخ . ودرر الدنيا والدين ، وقد توارثوها على الأيام والأحكام فصانوا خزائن كنوزها على الدوام

وبين العلم والسلام وشيجة كبرى لا تنفصم ، وعروة وثقى لا تنفصم ، « والعلم رحم بيننا » حقا وصدقا كما قال الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم لدى استقباله مندوب الفاتيكان بالأزهر منذ أيام . ولعل في احتفالنا بعيد الأزهر تجديداً لهذه البشارة الكريمة ، وتبشيراً بالرسالة الإسلامية التي محورها القرآن الشريف وهو ينبوع التراث الثقافي الذي نعتز به ، وندعو الناس إليه

والدعوة الإسلامية لم تقتصر على الرجال دون النساء ، فقد بعث الله نبيه للناس كافة ، من غير تفرقة بين العناصر والأجناس ، وارتفعت الراية الكبرى بأيدي المسلمين والمسلمات على السواء ، حتى لقد أوصى النبي (ص) فقال « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » أي عائشة

فما بال هذه الجامعة الإسلامية العتيدة قد أقفرت أروقتها وحلقاتها من المرأة المسلمة طوال هذا الألف الطويل من السنين ، وهي الجامعة التي أرسى قواعدها المعز لدين الله مؤسس الدولة الإسلامية التي انتسبت إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول عليه السلام ، فازدهى التاريخ بهذين الاسمين الخالدين « الدولة الفاطميـــة » و « الجامع الأزهر ؟ »

ولا يستطيع أحد أن ينكر المرأة كعنصر قوي في تاريخ الإسلام ، فقد كانت خديجة أول حواء آمنت بمحمد . وهي أم البتول فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، وحولها تألقت صفحات السيرة بالنجوم الزاهرة من أمهات المؤمنين ، والصالحات من أزواجهم وبناتهم وأخواتهم . ولن ينسى التاريخ عائشة بنت الصديق ، أو أختها أسماء ذات النطاقين ، أو صفية عمة رسول الله ، أو أم عمارة التي دافعت عن النبي بترسها ، ورمت عنه بسهمها ، أو زنيرة التي عميت في سبيل الله ، أو سمية أم عمار بن ياسر التي لقيت الأذى الشديد بسبب عقيدتها ، أو الخنساء الشاعرة التي كان يقول لها النبي : هيه يا خناس ، أو رابعة العدوية التي عشقت ربها عشقاً روحانيا خالصاً

وما كانت صفحة من كتب السيرة لتخلو من ذكر هذه الصفوة من المسلمات اللاتي تعلمن أمور الدين في عهد النبي ، إذ كانت تجيئه المرأة تسأله فيجيب ، أو تأتيه وافدة النساء تتعلم منه وتعلم غيرها ، بل لقد كانت المرأة منهن تنكر قومها ، بل أباها وأمها وتلحق بدين محمد ؛ فهذه جميلة تتزوج من حنظلة مع أنها بنت رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ، وهذه أم حبيبة تتزوج النبي وتمنع أباها أبا سفيان من الجلوس على فراش النبي ، وهذه صفية تنكر أباها اليهودي وتتزوج النبي ، وكذلك مارية وأختها سيرين وقد أهداهما المقوقس للنبي فيتزوج الأولى ويهدي الأخرى لشاعره حسان بن ثابت ، كما قامت النساء الأنصاريات بنصيبهن الكامل في مراحل الدعوة ؛ فقد استقبلن النبي بالمدينة — منذ هاجر إليها — بالدفوف والمعازف ، ويغنين :

نحن جوار من بني النجار   يا حبذا محمد من جار

وهو - عليه السلام - يداعبهن في ظرف ويقول : أتحببنني ؟ فيقلن : نعم . فيقول : والله يعلم أن قلبي يحبكن ، ولكن مع ذلك كله يندفعن إلى الغزوات كلما تجهزت العير ، واستطف النفير

وضربت المرأة العربيـــة أروع الأمثلة في الثبات بفضل استمساكها برسالة الإسلام . فهذه المرأة الدينارية التي تلقت يوم أحد الخبر بمصرع أبيها وأخيها وزوجها وابنها ، فتجلدت واحتملت ولم يهمها إلا أن تسأل : وكيف رسول الله ؟ فيقال لها : أمامك . فتقول : كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله

وكانت فاطمة وهي بنت النبي تطحن على الرحى بيدهـا ، وتخبز وهي حامل حتى لقد كان بطنها يمس التنور ، وتدبر أمر بيتها بنفسها ، فلما طلبت من أبيها خادما أبى عليها ذلك ، فكانت خير قدوة للمرأة في تدبير المنزل

ولن ننسى موقف المرأة المسلمة التي عارضت عمر وهو أمير المؤمنين إذ كان يخطب في حقوق المرأة فيقول خليفة رسول الله : صدقت المرأة وأخطأ عمر . فهـل كان يكون ذلك إذا لم تـكن المسلمات قد طرقن أبواب المسجد ، لا يحول بينهن في ذلك إلا الحجاب المشروع ؟

هذا ، وإن ما نرى بين ظهرانينا الآن من انحلال خلق إنما يرجع إلى إهمال شأن المرأة المسلمة ، حتى إذا حصل الرجل من العلوم الحديثة ما يشاء أعوزته الثقافة الإسلامية . فلا معين له عليها إلا همته وغيرته ، أما المرأة فإنها — للأسف الشديد — قد حرمت الحرمان كله من هذا وذاك ، فليس حولها من يشجعها على شعائر دينها ، ولا من يدفعها إلى التفقه في أصوله ، والتثقف بآدابه

وهذا النقص يمس حياتنا الاجتماعية في صميمها ، ويسيء إلى التربية الإسلامية في تطبيقها على المرأة ، وإزاء ذلك نرى أن الفرصة قد حان قطافها في العيد الألفي للجامع الأزهر

وخير ما نقدمه للأجيال القادمة — في هذه الذكرى — هو أن ننشئ « جامعة الزهراء » تؤمها المسلمات في مصر وشتى بقاع العالم يغترفن من مناهل هذا الدين المتين ، فينشأن نشأة إسلامية صحيحة ، تتوطد بها دعائم الأخلاق في الأسرة والمجتمع ، وهذا هو الدواء الصريح لكل ما نشكو الآن من تصدع في الروابط الأسرية ، وانصراف عن صوت الإيمان ونداء الضمير ، وتخبط في الانحرافات الزائفة تحت ستار المدنية

ولن يفوتنا مع ذلك أن تقتبس الطالبات « جامعة الزهراء » كل ما يمكنهن من التهذيب الفردي ، وتدبير المنزل ، وتربية الأولاد ، ومعاونة الزوج ، والخروج من الأسرة إلى أوسع نطاق اجتماعي في داخل الحدود التي رسمها الإسلام كدستور سماوي ، ونظام إنساني شامل لنواحي العلم والعمل

فإذا أردنا أن نسد على الفتن مسالكها ، ونفتح لمستقبل الأجيال القادمة باب السعادة ، فما علينا إلا أن نشيد المرأة المسلمة « جامعة الزهراء » إلى جانب « الجامع الأزهر » وعندئذ ستعرف المرأة الحديثة أين حقوقها وأين واجباتها

محمد محمود زيتون

ضبط الكتابة العربية

بحث قدم الى مؤتمر المجمع اللغوى

الأستاذ محمود تيمور بك

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

وجلة ما نادى به المنادون من المقترحات، سواء ما كان منها يشيد باتخاذ الحروف اللاتينية، وما يتخذ للكتابة حروفا مخترعة، ومايقتضى إدخال علامات أو أوضاع جديدة للحروف أو الحركات — جلة ذلك كله لم يسلم من النقد والاعتراض — وكان أكبر ما يثيره النقاد والمعترضون من مآخذ أن هذه المقترحات المعروضة لتغيير الكتابة العربية تقطع الصلة بين القديم والجديد. فإذا أخذ الناس بإحدى هذه الطرائق، وكتبوا بها، عجزوا عن أن يقرءوا ما تركه لنا الأولون من تراث ثقافى عريض، وحيل بين الجيل الجديد وبين الانتفاع بذلك التراث الذى لا تزهد فيه الأمة العربية بحال

والحق أن الاعتراض بالقطع بين القديم والجديد دعوى لا تخلو من غلو فى القول، وإسراف فى التصور. فإن أية حروف بل أية علامات وإشارات تكتب بها اللغة العربية لا تقطع بين قديم اللغة وجديدها، ولا تفصل بين ماضيها وحاضرها. بل لعل حروفا مقتبسة أو مخترعة تكتب بها اللغة العربية تكون سبيلا إلى إحياء اللغة وتيسير اكتسابها، ما دامت هذه الحروف المقتبسة أو المخترعة أدق ضبطا، وأدنى تناولا. فإنها بهذا الضبط وقرب التناول تجعل المتعلمين أقدر على القراءة ملكة، وأقوم لسانا، وأفصح بيانا

وعلة إثارة النقاد والمترضين لدعوى القطع بين القديم والجديد أنهم يخشون إذا اتخذت حروف مقتبسة أو مخترعة أن تظل المؤلفات العربية التى توارثناها على توالى الأحقاب مستغلقة مستبهمة لا يعرها قارئ. وبذلك تفقد الأجيال اللاحقة ما خلفته الأجيال السابقة من عصارات القرائح والعقول

ولكن الحق أن جيلا جديداإذا شب عربيا فى منطقه، بأية حروف وبأية علامات، فتمكن من قراءة الكلام العربى مضبوطا أدق ضبط، ممرنا أصح إعراب، واكتسب بذلك ملكة الإفصاح فإن هذا الجيل الجديد لا يعجزه بعدئذ أن يرجع إلى المؤلفات التى كتبت بالحروف العربية القديمة، وأن يقرأ ما فيها من بيان، وينتفع بما حوت من علم وأدب، وذلك إذا أنفق القليل من الساعات فى تعلم صور الحروف العربية القديمة، باذلا فى هذه السبيل أيسر جهد

ولا ريب أن كل امرئ فى مكنته تعلم الصور الخطية لثمانية وعشرين حرفا، أية كانت، فى ساعات معدودات، وبجهد غير مممور

ولو قدر للأمة العربية أن تتواضع على اقتباس حروف أجنبية، أو اختراع حروف جديدة، لوجب مع ذلك أن نلزم الناشئة تعلم تلك الصور القديمة للحروف العربية. حتى إذا شبوا وقد انقادت اللغة لألسنتهم، ومرنوا على ضبط نطقها، وأحسنوا تصريف كلماتها، وأمنوا من اللحن فى إعرابها — استطاعوا بمعرفتهم حروف العربية القديمة أن يطالعوا ما شاءوا من تراث السلف، ولا سيما المراجع الكبيرة، وأمهات الكتب، فى فروع العلوم والفنون والآداب

وستظل الحاجة إلى تعلم الحروف العربية القديمة قائمة، حتى يتسنى لنا أن نعيد طبع هذه المراجع وأمهات الكتب بالحروف التى نتواضع عليها. وستقل وطأة حاجتنا إلى هذه الحروف كلما مضينا أشواطا فى طبع تلك الكتب والمراجع. ولكن قدرا من هذه الحاجة سيبقى قائما وإن أعدنا طبع مئات من المؤلفات ومئات

ومن هذا يتبين أن تواضعنا على أية حروف لكتابة اللغة العربية، لا يقطع الصلة بين قديمنا وجديدنا فى ميدان التأليف. فالصلة باقية، وربما بقيت على نحو أوثق مما هى الآن. وغاية ما هنالك أن الأمر يقتضينا معرفة حروف العربية القديمة، فإذا عرفناها وضح لنا الطريق إلى منهل التراث العربى، نعب منه ما وسعنا أن نعب لا يصدنا عنه شئ

بيد أن هذا المنطق الذى نراه واضحا كل الوضوح، لايصرفنا من أن نسأل أنفسنا :

أنريد الحقائق النظرية ، أم نريد الواقع العملى ؟

إن كنا نريد النظريات ، فمجال القول ذو سعة ، وميدان الاقتراح رحيب الجنبات ، تتنافس فيه الأذهان

وأما إن أردنا الواقع الملموس ، فيجب أن نصارح أنفسنا فى غير مواربة ولا مراء

لغتنا العربية فى جوهرها ومظهرها ليست ملكا لوطن وحده ، ولا هى مقصورة على دولة بعينها ، ولكنها شركة بين طائفة من الأوطان والدول . وجلى غاية الجلاء أن هذه الطائفة التى تضم بين جوانحها الأمة العربية كلها يجرى فيها اتجاه واضح إلى الإبقاء على الكتابة العربية القديمة ، والتهيب للعدول عنها ؛ وإن كان الرأى العام فى الأمة العربية كلها يؤمن بقصور تلك الكتابة عن الوفاء بحاجات الضبط ، ويعانى من صعوبتها ما يعانيه

ثمة عامل نفسى يسرى بين جوانح الأمة العربية ، من أغفله لم يأمن الشطط . فإن جماهيرنا فى نهضتنا الحديثة التى تقوم على أساس الحضارة الغربية الراهنة، تتملكها نزعة المبالغة فى الحرص على مشخصاتها القومية ، وهذه الجماهير — فى شديد حرصها ذلك — تتوهم أن حروف كتابتنا العربية إحدى هذه المشخصات فإن نبذتها كان ذلك إمعانا فى التطرف ، وهدما للمأثور ، وتفريطا فى الجانب القومى العزيز

وعلى الرغم من أننا طلاعون فى نهضتنا إلى الأمام ، آخذون من الحضارة بكل الأسباب ، فإن جماهيرنا تلك ما برحت تحت وطأة من تقديس التقاليد المتوارثة ، تضن ما وسعها الضن بالنزول عن شئ من شؤون حياتنا الاجتماعية ، وإن كان من الظواهر والقشور

والحروف العربية القديمة ، وإن كانت لا تزيد على أنها أداة تصوير ، وليست هى من جوهر اللغة فى قليل ولا كثير ، فإنها قد اتخذت فى أوضاعها القائمة ، مسحة من التقديس ، لشدة الألفة بها ، وطول العهد معها ، وجلال القدم فيها . ولذلك لا يحسب كل تغيير يلحق بها إلا استخفافا بشئ تحيط به هالة من الجلالة والإكبار

وإذن فهذا العامل النفسى المتأصل ، هو الذى يقف عقبة فى سبيل ما ينادى به المفكرون وذوو الرأى ، من اتخاذ حروف جديدة مقتبسة أو مخترعة لكتابة العربية

ولا خلاف على أن العوامل النفسية التى تستقر بين جوانح الأمم لا تسقط جملة بقوة منطق ، وروعة دفاع ، وحجة إقناع ، وأنها كذلك لا تسقط بظهور مضرة ، واستبانة نفع ؛ فإن للعوامل النفسية أسبابها وملابساتها . فإذا زالت هذه الأسباب والملابسات رويدا زالت معها تلك العوامل رويدا . وليس كالزمان دواء لها وعلاجا

هيهات أن يفرض اقتراح جديد للكتابة بقانون . وهيهات أن يلزم الناس به إلزاما بإقناع ، وكل محاولة تجافى المجرى الطبيعى لتطور نفسية الأمم مكتوب لها الإخفاق

فمن حق الأمة العربية علينا أن نساير فى عهدها الحاضر رأيها العام ، وأن نسوس هذا الرأى فى حكمة وأناة ، حتى يحين وقت تتهيأ النفوس فيه لقبول الجديد

فالإجراء الذى يمكن أن تكفل له قبول الأمة العربية فى جملتها ، هو أن يكون لمشكلة الكتابة العربية حل لا تتغير فيه الحروف القائمة ، ولا تتنكر معه صورها المألوفة

ومتى اتسق لنا تحقيق رغبة الرأى العام فى استبقاء القديم ، فإن الناس جميعا يرحبون بما نتخذ من وسيلة لتذليل المصاعب التى تعترض حل تلك المشكلة فى ميدان الطباعة

وقد حدانا هذا على أن نعرض طريقة تقوم على أساس الكتابة العربية فى أوضاعها الراهنة ، بيد أننا ننفى منها ما كان عائقا عن إدخال علامات الضبط فى الحروف المطبعية

إن صندوق الحروف فى المطبعة العربية يحمل لكل حرف صورا متعددة ، منها المفرد ، ومنها ما يقبل الاتصال بحسب أول الكلمة ووسطها وآخرها ، وبحسب وقوع الحروف فى بنية الكلمة المركب بعضها فوق بعض . ولذلك اتسع صندوق الحروف من ناحية ، فتعذر أن يحتمل معه صندوقا آخر لعلامات الضبط . وتركبت الكلمة من ناحية أخرى ، فأصبح وضع علامات الضبط عليها غير دقيق . وهذا كله هو سر استقلال علامات

الضبط ، وإخفاقها في أداء مهمتها ، وهو العقبة في سبيل استعمالها في الكتب التي تخرجها المطابع

وإني أرى أن نقتصر من صور الحروف على صورة واحدة ، وبذلك يكون لصندوق الحروف المطبعية عيون لا تتجاوز الثلاثين عينا ، فنتخلص من تلك العيون التي تزيد على ثلاثمائة ، وأن نتخذ علامات الضبط المتعارفة التي يجرى بها الاستعمال . وسيرحب بها الصندوق الذى تخفف مما كان يغص به من الصور المتعددة للحروف الأصلية ، وانفسحت جوانبه لتقبل هذه الحركات في غير مشقة ولا عسر . وطوعا لهذا يتوافر للطباعة غنم من السهولة والتيسير ، كما يتوافر للكتابة غنم من نعيم الضبط بلا عناء

وأقترح أن تكون الصورة التي نقتصر عليها من صور الحروف هي الصورة التي تقبل الاتصال من بدء الكلمات ، وهي التي يسميها أهل فن الطباعة : حروفا من الأول ، على أن تؤثر الكاف المبسوطة ، وتظل حروف الألف والدال والذال والراء والزاى والواو والتاء المربوطة واللام ألف باقية على صورتها في حالة إفرادها

وأكبر ظنى أننا لو أخذنا بهذه الطريقة لحللنا مشكلة الكتابة العربية الآن على نحو لا يثير اعتراضا ، ولا يتطلب تهيئة الأذهان للرضا بتغيير طارئ ، وإقناع الرأى العام بقبول شيء جديد

وعندى أن هذه الطريقة تتحقق بها المزايا الآتية :

أولا : أنها تنفى شبهة القطع بين القديم والجديد ، فالحروف هي الحروف المعروفة ، وعلامات الضبط هي القديمة المألوفة

ثانيا : أن الحروف ستكون واضحة لا خفاء بها : فهي غير مركبة ، بل مبسوطة ، يعرب فيها كل حرف عن صورته في تميز واستقلال

ثالثا : أن علامات الشكل ستقع على الحروف بأعيانها ، تأخذها الأنظار باللمح ، فلا تترجح العلامات بين الحروف المركبة في الكلمة الواحدة . إذ أن كل حرف رحب الصدر لما يقع فوقه أو تحته من علامة الشكل . وبذلك تأمن العلامات من التزحزح ، وتسلم من التعرض للخطأ والاضطراب

رابعا : أن اتخاذ صورة واحدة للحروف في جميع مواقعها من الكلمات ، أولا ووسطا وآخرا ، سيجعل تعليمها أيسر مؤونة ، لأننا لا نروع المتعلمين بالحرف الواحد متعدد الصور ، مختلفا في حالة إفراده عنه في أحوال تركيبه . ولذلك أثره في تعليم القراءة للناشئين ، ومكافحة الأمية على وجه عام بين الأهلين

خامسا : أن المصاعب التي تتجشمها المطبعة الآن لا يبقى لها محل . فإن صندوق الحروف سيتحرر من أكبر ما يثقله . فإذا أضفنا إليه علامات الشكل لم يضق بها جميعا . وسيصبح ذلك الصندوق الذى يحوى الحروف وعلامات ضبطها جميعا لا يزيد على خمسين عينا ، على حين أن صندوق الحروف غير المشكولة في حالتها الراهنة المتعددة الصور يربى على ثلاثمائة

سادسا : أن وقت العمال الذى كانوا ينفقونه في اجتلاب صور الحروف على اختلافها سيتوافر لهم ، فينفقون القليل منه في اجتلاب الشكل . وسيصبح صفهم لكلمة مشكولة يتطلب من الوقت والجهد أقل مما كان يتطلب صف كلمة لا شكل فيها

سابعا : أن اجتناب التركيب في الحروف سيجعل الكلمات مبسوطة ذات أفق أقل انخفاضا من الأفق الذى تقتضيه الكلمات المركبة الحروف ، فتزداد السطور في الصحيفة ازديادا يعوضها مما يستلزمه انبساط الحروف من اتساع الحيز

ولقد رغبت إلى المطبعة في أن تسلك هذه الطريقة في صف جملة من الكلام ، فلم تمن بذلك ، وأثبتت التجربة أن الطريقة لا تعترضها في العمل عقبات ، مع أن المطبعة اعتمدت في إنجاز ذلك على صندوق الحروف الذى يجرى به الاستعمال الآن

ولو أن هذه الطريقة لقيت حظا من القبول ، ووضعت موضع التنفيذ ، لتوقعنا أن يزودها أهل الفن في مسابك الحروف بما يوحى به وضعها الجديد ، وأن يزيدوها تجميلا ، ويضيفوا إليها من ألوان التعديل والتنسيق ما يجعلها أدق أداء ، وآنق منظرا ، وأدنى إلى الرضا والاستحسان

بق أن نعرض لشيء لا نجد سبيلا إلى أن نضرب عنه صفحا، ذلك هو أن لمشكلة ضبط الكتابة جانبا غير الجانب المطبعي الفني الذي تحله هذه الطريقة

إن المطالبة بضبط الكتابة أمر تعترضه مصاعب يتبرم بها الكاتبون . فإننا إذا رغبنا إلى كل كاتب أن يقدم ما يكتبه إلى المطبعة مشكولا على وجه الدقة ، استشعر من ذلك عنتا ، ولاقى في سبيله رهقا أليس هو مطالبا بأن يتحرى الصواب في الضبط؟

وهل يتسنى لكل كاتب أن يحسن ضبط ما يكتب ؟ أو ليس ذلك يقتضي بصرا باللغة ، وإتقانا لقواعد النحو والصرف ، حتى لا يكون الضبط الجديد سبيلا إلى إشاعة الخطأ من حيث نبتغي إشاعة الصواب ؟

ولكن هذا الذي نتوقعه ونخشاه من شيوع الخطأ إذا أريد الكاتبون على ضبط ما يكتبون ، دليل أسطع دليل على أننا تعوزنا المرانة على سلامة النطق وصحة الإعراب ، دليل على حاجتنا القصوى إلى تعميم الضبط في الكتابة

على أن لكل تغيير طارئ مصاعبه الأولى ، ولكل إصلاح عثراته في فواتح الطريق ، حتى يستقر الأمر، وتستتب الحال . فلا ريب في أننا حين نأخذ أنفسنا بضبط ما نكتب سيشيع بيننا خطأ كثير ؛ إلا أن هذا الخطأ سيقل ويضمحل على توالي الزمن وفقا لتتبع النقاد ، والرغبة في توخي الصواب . ولا ريب كذلك في أن الأمر سيقتضي تخصيص طائفة من البصراء باللغة للاشراف على كل ما تخرجه المطابع من كتب وصحف ومجلات ، حتى تبرأ من اللحن والخطأ في ضبط الكلام

ومر الأيام كفيل بإنشاء جيل جديد من الكتاب والمؤلفين يغنون بقدر كبير أو صغير عن معونة الراجعين والمصححين . وهذا الجيل ناشئ حتما متى شب على قراءة ما يقرأ مضبوطا أتم ضبط ، إذ يتعود سلامة النطق، وتستقر في أذهانه صيغ الكلمات والجمل مضبوطة معربة ، فيكتبها كما ألفتها عينه ، ويتلفظ بها كما سمعتها أذنه . وبذلك يقتطف ثمرة النحو والصرف . دون تخصص في تعلم النحو والصرف . شأنه في ذلك شأن الشاعر المطبوع حين ينظم ما ينظم صحيحا لا خلل فيه ، طوعا لما أدمن من قراءة الشعر ، ولو لم يعرف من علم العروض شيئا

وعلى الرغم من أن هذه الطريقة التي نراها حلا للمشكلة الفنية المطبعية في ضبط الكتابة ، طريقة ميسورة ، لا تقف في سبيل تنفيذها عقبة ، فإننا لا نستطيع أن نلزم بها الأمة العربية إلزاما ، ولا أن نفرضها على المطابع فرضا . ولكن يجب أن ندعو إليها دعوة عملية طبيعية تزكيها عند الناس، وتحدوهم على اتخاذها بالطوع والاختيار

ولعل أهدى سبيل إلى تحقيق تلك الدعوة هو أن تلتزم وزارة المعارف طبع كتبها التعليمية في مختلف المواد والمراحل ، وافية الشكل ، صحيحة الضبط ، بهذه الطريقة الهينة الميسورة . ولن تجد الوزارة في سبيل ذلك ما كانت تجد من مصاعب فنية ، وعقبات مطبعية ، حالت بينها وبين تعميم الشكل في كتب التعليم

فإذا ألزمت وزارة المعارف نفسها بهذا الإجراء ، كان ذلك حافزا على اتخاذ تلك الطريقة في محيط الجمهور

وسينشأ تبعا لذلك عامل نفسي لتأييد تعميم الضبط في سائر المطبوعات ، هو عامل التأسي والاقتداء ، وعامل التنافس في إظهار القدرة على إخراج كتب مشكولة ، تشبها بما تخرج وزارة المعارف من كتبها في شتى مواد العلوم والفنون والآداب

ويومئذ يتحقق غرض منشود ، سعى إليه « مجمع فؤاد الأول للغة العربية» ، وابتغى إليه الوسيلة ما وسعه أن يبتغي ، ذلك هو تعميم الضبط في الكتابة العربية على نحو ميسور

محمود تيمور

إسق العطاش

للاستاذ حسني كنعان

سألني صديق عن فصل (اسق العطاش) ، وسألني آخر عن آثار القباني ، وها أنذا أجيب على السؤالين

اسق العطاش : نوع خاص من أنواع الموشحات العربية القديمة المجهولة المتوارثة اختصت بحفظه مدينة حلب وحدها دون سواها من المدن العربية . ولهذا النوع من الأثر طابع خاص عرف به في النظم واللحن والإنشاد طغت عليه النزعة الصوفية . فأنت إذ تصافح أذناك هذا النوع من الموشحات الأخاذة الساحرة وتصغي بكل حواسك وجوارحك إليه تخال نفسك كأنك قابع في زاوية من زوايا السادة الصوفية تضوعت في جنباتها روائح الند والمسك والطيب فتذهل عن الدنيا لشدة ما يعتريك من الخشوع والطرب والورع تأثراً بهذه الأنغام الرائعة والمعاني المتمة فيأخذك العجب مما جادت به قرائح الأجداد الفياضة التي إن دلت على شيء فإنما تدل على ما كانوا عليه من شغف بالفن وانكباب مجهود في إحيائه والنهوض به ...

والفصل برمته مأخوذ عن كتاب خطي قديم عنوانه (سلافة الألحان) يقع في مئة وخمسين صفحة على الجملة ، قد دون بخط جامعه السيد (محمد الوراق) الحلبي المنبت وكان رحمه الله من الملمين بهذا الفن البارزين . وله في حلب عدة تلاميذ لا يزالون حتى الآن يحفظون له هذه اليد

وكان منشداً في التكية الهلالية قد انقطع للنسك فيها والعبادة والتصوف، وقد تيمه الحب وهاجه الوجد والغرام في هذه الطرق ، لجمع هذا الفاصل الأثري وعني بتعلمه وتعليمه فكان له ما أراد من فضل في نشره وإحيائه ... (١)

ولقد اختلف الرواة في منبع هذه الموشحات ، فمنهم من نسبها إلى مصر وذهب إلى أن مياه النيل في عام من الأعوام قديماً قد نقصت وضنت السماء على سكان الوادي الخصيب بالمطر فما جادت عام مئذ بقطرة واحدة ، ففزع أهل القطر إلى العراء يستمطرون الرحمة والغوث من لدن رافع السماء وباسط الأرضين ، جاء في مطلع أدعيتهم :

يا ذا العطا يا ذا الوفا
يا ذا الرضى يا ذا السخا
إسق العطاش تكرما
فالعقل طاش من الظما

ومن قائل إن هذه الحادثة وقعت بحلب ، ودليله على ذلك العادة المتبعة حتى الآن من فزعهم ولجوئهم إلى العراء حتى اليوم يستغيثون ويستمطرون الرحمة كلما ضنت عليهم السحب بالغيث فيجأرون بهذه الأدعية والموشحات . وإلى هذا قصر فيها خزانات لإرواء تربتها يفزع إليها كلما ضن النيل وبخلت السحب بالأمطار

ومن قائل بأن هذه الحفلات الفنية من وضع الصوفيين تهدف بمعناها ومبناها وموسيقاها إلى نزعة غزلية صوفية يقصد بها الإشارة والديع للذات القدسية العليـة والتغزل بها والتغني بمحامدها ومقاتها على سبيل التعبد ، وأنها تتلى بالأذكار وحلقات التكايا والزوايا لهذه الغاية

وهي موشحات كما ترى لا تتنافى مع مبادئ الدين الحنيف في شيء ، وقد سبق لابن الفارض والسيد الجيلاني وابن العربي وعبد الغني النابلسي أقوال كثيرة في هذا المنحى من الغزل الصوفي، ولذا نراها تستعمل في بلادنا في كل حفل ديني يؤتى فيه على ذكر الله الملك الديان ، ويغلب على نغم هذه الموشحات النغمة الحجازية وقد يدوم إنشادها في الأذكار والحفلات زهاء أربع ساعات دون انقطاع يتخللها نغمة العراق والعجم في بعض الأحيان ، إلا أن نغمة الحجاز هي الغالبة على جميع الأنغام في هذه الآثار

والعادة المتبعة عند الحلبيين أن يهيئوا لها أحسن العازفين والمنشدين فتبدأ الأنغام في بادئ الأمر ببطء متزايد وصوت غليظ ثم يأخذ هذا الصوت في الحدة والشدة والدقة حتى تعلو الأصوات وتدق ، ويشتد العزف ويخف بحسب المنحى إلى أن يغدو السامع كأنه ثمل بنشوة الطرب ، وعندما تكون الحلقات معقودة وتأخذ رجالها النشوة تنزلق أرجلهم وأيديهم وصدورهم إلى البدء

(١) مصادر هذا الفصل عن رسالة الأثري

فى رقص السماح الذى تحدثت عنه فى الرسالة سابقا وينقلب هذا الفاصل من الموسيقى إلى فاصل إنشاد ورقص وطرب فتسمع وترى عندئذ من القائمين على شؤونه العجب العجاب ، وعندما يشعر أبطال هذه الحلقات بتعب أو ضنى ينسل من الحلقة متنحيا ناحية فى المكان ، فإذا ما شعر غيره بتعب صنع صنيعه وهكذا يظل أبطال الحلقات يتسللون لواذاً الواحد تلو الآخر ويكون ذلك بعد مضى أربع ساعات على التحقيق إلى أن تنقطع الحلقة وينهض المتحلقون من حولها وينتهى هذا الفاصل الغنائى الرائع الأخاذ .

أذاعت جزءاً من هذا الفاصل محطة حلب الإضافيـة منذ أمد بإشراف الأستاذين الشيخ عمر البطش الذى فقدته سوريا بالأمس وفقدت بفقده كنزاً ثمينا من الكنوز الفنية التى لا تعوض ، وبإشراف الموسيقار توفيق الصباغ . وما كاد يمضى مدة على إذاعة مختارات من هـذا الفاصل الأثرى الخالد حتى بادرت إدارة محطة الشرق الأدنى إلى الشخوص لحلب فتعاقدت مع أرباب هـذه الصناعة من المذيعين وأخذت تسجيلا خاصاً عنه . ولا ريب أن محطة دمشق ومصر والعراق وبقية محطات المدن العربية كانت أولى بحفظ هذه المخلفات الأثرية من محطة الشرق الأدنى قبل أن يمضى عميدها المرحوم الشيخ البطش، ولكنا نحن معشر الشرقيين نستهين بتراثنا الفنى ونهمل رجالاته فإذا ما فقدناهم ندبنا حظنا وذرفنا الدموع سخينـة على افتقادهم ، وإنى ختاماً لهذا البحث الفنى أرانى ملزماً بذكر بعض مقطوعات مما ورد فيه تتمة للفائدة وتعميما للنفع عسى أن يجد أبناء الفن الباحثون المتلذذون منهم والمتكسبون فيه ما تصبو إليه نفوسهم ويشفى غليلهم

فالسادة أصحاب الطرق يذهبون فى هذه الوشحات مذاهب شتى ؛ فمنهم من يجعل الحبيب الذى يتغزل به غزالا ، ومنهم من يجعله إنسانا ذكراً أو أنثى ؛ ولا يعلم إلا الله خفايا أسرارهم فيتغزلون بدعد وهند وليلى وسلمى وإلى ما هنالك من أسماء الأنثى ، ومنهم من يتغزل بالذكر ويجعل المحبوب رسولا أو إلها أو ولياً من الأولياء . فهم بهذه الحالة يظهرون ما لا يبطنون . ومن أقوالهم فى ذلك

يا غزالى كيف عنى أبعدوك ... شتتوا شملى وهجرى عودوك
يا غزالا بالبها ما أجملك ... يا ترى فى قتلتى من حللك
كنت لا أعشق خلا ما خلاك ... حلوك الهجر حتى واصلوك

قلت رفقاً يا حبيبى قال لا ... قلت راع الود يا ريم الفلا
قال من يهوى فلا يشكو القلى ... قلت حسبى مدمعى قال سفوك
قلت مولى قال ذا شئ بعيد ... قلت عبداً قال لا أرضى عبيد

ومن قولهم فى ذلك !

أهوى الغزال الرونى باهى الجمال ... حلو المباسم سكرى ريقه حلالى
أهيف حوى كل المحاسن والكمال ... إذا تبدى ينجلى مثل الهلال
يا عاذلى اقصر كلامك عن غزالى ... ما للعوادل فى هوى روحى ومالى

هذان الوشحان من نغمة الحجاز

وهذا موشح من النوع الذى يتغزل فيه بالأنثى :

هيمتنى تيمتنى عن سواها شغلتنى
أخت أنس ذات شمس
دون كأس أسكرتنى
لست أسلوها ولو فى نار هجران كوتنى
ذات عقـد ذات بند أسبلته فوق نهد
أيها الساقى فنادن باسم من قد آنستنى
عاذلى ماذا عليها بالقا لو أتحفتنى
صورها المعبود الرخيم يسلب القلب السليم
تميل الشمال السليم فوق أعطاف سبتنى
ليلة بت معاها بالصفا لما دعتنى

وإليك نوعا آخر من أنواع الغزل الصوفى نختم به هـذا النوع من الوشحات

مولاى أجفانى جفاهن الكرى ... والشوق لاعجه بقلبى خيما
مولاى لى عمل ولكن موجب ... لعقوبتى فامنن على تكرما
واجل صدى قلبى بصفو محبة ... يا خير من أعطى الجزاء وأنعما
يا ذا العطا يا ذا الوفا يا ذا الرضا ... يا ذا السخا إسق العطاش تكرما
أغث اللهفان واروِ الظمآن ... واسقنا يا رحمن من منهل الإحسان

أما الاستيضاحات التى طلبها منى السيد محمد يوسف نجم من جامعة فؤاد الأول فالجواب عليها أورده على الجملة فيما يلى عساه يلاقى فيه ما تصبو إليه نفسه :

١ — لم يسبق محاولة مسرحية فى سوريا قبل القبانى وإنما الذى عرف أن أستاذه على حبيب الحكواتى كان يخاطب الصور

الخيالية من وراء (خيمته) بلهجة تمثيلية فيها الحوار والسؤال والجواب. وكان القباني يلازمه ويقتبس من لهجته التمثيلية ومحاوراته اقتباسات أفسحت أمامه المجال لوضع نواة التمثيل في مخيلته، وكانت فرقة فرنسية أمت سوريا للتمثيل فيها لحلت في مدرسة (العذارية) في باب توما، فحضر القباني هذه الروايات وشهدها جميعها فأخذ فكرة عن التمثيل والمسرح. وفي عهد الوالي عبد اللطيف صبحي باشا ظهرت أولى مسرحياته فألف رواية (ناكر الجميل) ومثلها أمامه سنة ١٢٨٨ وكانت سوريا والبلاد العربية لا تعرف شيئاً عن التمثيل قبل هذا التاريخ

٢ — أما كتبه ومؤلفاته المسرحية فإنها مذكورة في كتاب الموسيقى الشرقي لمؤلفه المرحوم كامل الخلعي. ولقد أجهدت نفسي كثيراً لأحصل على نسخ منها فلم أظفر لأن ولده المرحوم خليل أودع مؤلفات والده عند شريك له في المحاماة من آل العجلاني، ولما توفي خليل المذكور أنكرها واحتجزها لنفسه كما فعل شقيق الشاعر الزين رحمه الله بأشعار أخيه الفقيد، وعبثاً حاولت الحصول على نسخ منها. ولما أعيتني الحيلة والأمانة للعلم والبحث قصدت نائب دمشق الأستاذ فخري بك البارودي وطلبت مساعدته للحصول على تراث القباني، فجال بمكتبته الفخمة جولة ثم عاد يحمل إلى روايتين مطبوعتين في القاهرة بقلم القباني نفسه قد أكلت حشاياهما الأرضة وعفى عليهما النسيان، إحداهما رواية، هرون الرشيد، والثانية رواية الأمير محمود نجل شاه العجم، فعثرت بعثوري عليهما على كنز دفين أو معدن نادر. ولم أتبين تاريخ وضع رواية الرشيد لاهتراء مغلفها، أما السلطان محمود فلقد طبعت بالمطبعة العمومية بمصر سنة ١٣١٨ هـ

فرأيي في أسلوب الروايتين لا يخرج عن رأي أديب يرى في هذا الأسلوب المسجع أسلوباً لا يليق أن يتخذ قدوة في هذا العصر، فرواية الرشيد تدور حول مؤامرة القصر والست (زبيدة) وحادثها مع قينة الرشيد (قوت القلوب) وموضوعها لا بأس به على الجملة. أما الرواية الثانية فليس لها مثل أسلوب الأولى وليس لها مغزاها. ولقد صدرت رواية الرشيد بعهد الخديوي عباس ودليل على ذلك ما جاء فيها من قول مؤلفها:

دام في عصر مشيد   غوثنا عبد الحميد
وبه نجم السعود   قد تبدى في صعود
وبعباس المعالي   بهجت بيض الليالي

ومن هذه الأرجوزة الجذلة تعرف مقدار فهم القباني ومقدار مواهبه الشعرية والنثرية. ولا أظن أن المكتبات الكبرى في القاهرة تخلو من آثار القباني إذ أنها كلها مطبوعة في القاهرة. وكانت في عصره منتشرة ولا يعدم الباحث المدقق وسيلة للعثور عليها كما وجدت أنا الوسيلة للاطلاع على بعضها على رغم فقدانها

٣ — أما ماورد في السؤال الثالث عن احتمال وجود مدرسة فنية في دمشق اهتدت بهدى القباني وتتبعت خطاه، فهذا أمر ينفيه الواقع. لأن القباني بعد مغادرته الديار الشامية وهجرته لمصر انقطعت أخباره عن سوريا وتعطل المسرح من بعده وانتقل هذا الفن إلى الديار المصرية حيث لقي فيها تربة خصبة وصدراً رحباً

وكان وصوله إليها في عهد الخديو توفيق وعاصر عباساً ولم يعد إلى بلاده إلا بعد أن نشر الفن في ربوع النيل السعيد وتخرج هناك على يديه الكثيرون ممن ذكرتهم في مقالاتي السابقة في الرسالة الغراء. والشيء الذي أريد أن أقوله: إن القباني وقد مضى على تاريخ وفاته هذه السنون الطوال لا يزال أعقاب بعض أعدائه من الشيوخ المحافظين الذين كانوا يناوئونه ينظرون إليه نظر المخرق الخارج الذي أحدث ثلمة في الدين وأوجد بدعة بما جاء به من أعمال فنية في ذلك الزمن. وهم يلومونني إذ أكتب عنه هذه الفصول. وهذا دليل على التأثير البالغ الذي أحدثته رواياته وقتئذ لدى آبائهم وأجدادهم المعاصرين له. وقد غالى بعضهم في اللوم والعتاب وحظر علي الكتابة في هذا الموضوع بداعي أنه يثير حزازات قديمة، وهؤلاء الأعقاب كما ترى قد ورثوا العداء لهذا الفني العالي كابراً عن كابر، وأنا إذ أعود إلى نبش هذا الموضوع من جديد ألقي التبعة في ذلك على عاتق السيد نجم لأنه هو السبب في إثارته من جديد فعليه يقع الكفر، وأنا إنما أنقل ما يطلب إلي، وناقل الكفر ليس بكافر

٤ — وأما طلب السيد نجم بإتمام بحثي عن القباني في الرسالة فهذه مهمة سأتفرغ لها وأكتب فصلا خاصا عن القباني الموسيقي كما كتبت عن القباني الممثل إجابة لرغبته وإن كانت هذه الرغبة تكلفني غاليا كما أشرت

دمشق   حسني كنعان

رأى فى تحديد العصر الجاهلى

بحث قدمه إلى مؤتمر المجمع اللغوي

صاحب العزة الأستاذ ابراهيم مصطفى بك

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

يرجع أدبنا فى أصوله إلى العصر الجاهلى — ألفاظ لغتنا، وطرق اشتقاقها، وبناء الجملة ونظم تأليفها، وأوزان الشعر وقوافيه وهيكل القصيدة

ومثل البادية فى العصر الجاهلى وصور الحياة فيها لم تزل منبثة فى تفكيرنا وإعاننا ونظم حياتنا، وكل تنوير لهذه الحقبة من التاريخ يرجع بالإضاءة والكشف على أصول أدبنا وتكوين حياتنا

وهو عصر غامض حتى لا نعرف مداه ولا نقف على تحديده، ولهذا ترسل الحوادث فيه مبعثرة مضطربة غير مرتبطة بأوقاتها ويغشيها ستار من الخيال ومن المبالغة تتيه فيه الحوادث ويضل المؤرخون

فحرب « داحس والغبراء » مثلا وهى من أشهر حوادث هذا العصر يعدها بعض المؤرخين فى أوائل القرن الخامس، ويراها آخرون من حوادث القرن السادس، ومنهم من يقول إنها امتدت أربعين سنة، ومنهم من يرى حصرها فى عشر هذا الزمن أى نحو أربع سنوات

وزهير بن جناب الكلبي عاش ٣٠٠ سنة أو ٤٠٠ سنة أو ٤٥٠ سنة، وطى بن أد عاش ٥٠٠ سنة

وتحديد هذا العصر بمعالم من التاريخ أول واجب لتصوره ولفهم مجرى حوادثه

وآخر هذا العصر معروف محدد هو سنة ٦٢٢ وهو بدء التاريخ الهجرى

وإذا نظرنا وجدناه لا يؤرخ بزوغ الدعوة الإسلامية وبدء ظهورها، فقد دعا الرسول إلى دينه سرا وجهرا وأعلن رسالته فى الأسواق وهى مجامع العرب وعرض نفسه على القبائل، وتم ذلك كله قبل الهجرة ولم يعد شىء منه نهاية للعصر الجاهلى

وكذلك لا يؤرخ انتشار الإسلام وغلبته على الجزيرة العربية فقد كان الإسلام فى المدينة وحدها بل فى جزء منها، وسلطان الحياة الجاهلية لم يزل مبسوطا فى الجزيرة وأرجائها الواسعة. والمسلمون أقلية صغيرة ضئيلة كما كانوا أقلية بمكة

ولكن أمير المؤمنين عمر والعرب معه لم يتخذوا هذا التاريخ اعتباطا ولا حددوه تحكما؛ بل رأوه تاريخ تكوين حكومة خضعت لها البلاد العربية وشملها سلطانها ونظامها، وقضت على حالة من الفوضى تنهب فيها الأموال والأنفس. والضعيف نهب القوى

ولم يتخذ تاريخا حتى كان سلطان تلك الحكومة وطيداً شاملا وأمنها مظلا وارفا

وكان تكوين الحكومة عقب تلك الرحلة القاسية السعيدة الفاصلة وهى الهجرة فسمى التاريخ بالهجرى

فهذه نهاية العصر الجاهلى قرنت بالهجرة وبتكوين الحكومة الإسلامية

فما مبدأ هذا العصر؟ يحصر المؤرخون به إلى أول الخليقة ويجعلونه شاملا لكل ما كان قبل الإسلام وهم بهذا يقررون أن العرب أو عرب الشمال على الأخص قد جاءهم الإسلام وهم على الفطرة وفى حالة بداوة لم يتصلوا قبلها بحضارة

ونحن مضطرون هنا أن نشير إلى نوعين من الجاهلية: جاهلية الفطرة وتكون الأمة فيها بدائية متبربرة خشنة العيش لم ترث آثار مدنية سابقة. وجاهلية فترة وهى حال أمة كانت لها حضارة فقدتها بسلطان من الطبيعة أو أحداث السياسة وتدهورت فى حياتها درجات وبقى مستكنا فيها آثار ما تمتعت به من حضارة

وإذا كان مسلك المؤرخين يفيد أن جاهلية العرب هذه كانت جاهلية فطرة فإن كل شىء فى التاريخ وفى حياة العرب يشهد أنها كانت جاهلية فترة، جاهلية موقوتة تحمل آثاراً قوية من حضارة أو حضارات سابقة

لغتهم وبيانهم لم تكن لغة أمة بدائية ولا قريبة من البدائية، وعملهم وهو التجارة — والتجارة الخارجية خاصة — بعيد أشد البعد من أن يكون عمل أمة بدائية؛ وحكمهم للبلاد يوم فتحوها وسياستهم أهلها لا يمكن أن يتهيأ لأمة فطرية

حتى رذائل الجاهلية فيها ما يشهد بيمدها عن الحياة البدائية – هـــذا الربا الذى شدد الإسلام فى النهى عنه والذى عنى به الرسول فى خطبة الوداع ووضعه عن الناس يشهد تعدد أنواعه والتشدد فى تحريمه بتغلغله فى الحياة الجاهلية – وما كان تقويم المال وتقديره وأرباحه عملا من أعمال الأمم الفطرية

وربا الفضل نوع من الاتجار فى الأثمان وفى النقد وعمل من أعمال البرصة ومضارباتها وهو من علل حضارة غنية مرفهة؛ فقد كان نقــد الفرس بأيدى العرب يعلو ويهبط تبعا لانتصارهم أو هزيمتهم، وكذلك نقد الروم، فتضطرب الثروة فى أيدى الناس وينتهز الفرصة البصيرون الهازون كما يفعل اليوم تجار النقد. وقد عالجه الإسلام أصلح علاج – الذهب بالذهب والفضة بالفضة، مثلا بمثل، يداً بيد

والقرآن يشهد للعرب بحضارات سالفة بائدة – فهم على دين أبيهم إبراهيم، وأرسل إلى العرب من العرب رسل منهم هود وصالح وشعيب ولـكل رسالة دين وفى كل دين حضارة

وطبيعة البلاد العربية وموقعها فى وسط الدنيا تأبى أن تكون بمنأى عن الحضارات وأن يعمرها قوم منعزلون متأبدون فطريون. فمنذ أقدم عصور التــاريخ كانت الجزيرة العربيــة وبواديها قناة التجارة بين الشرق والغرب من قبل أن تفدقناة الســويس؛ بل إن طبيعة الجزيرة اليوم تعمل فى قوة وسرعة لتسترد قناة التجارة إلى مسالك بواديها. ولا يغفل عن ذلك إلا من سد أذنه وأغمض عينيه. فالسيارات القوية العاتية والوثيرة المريحة ما بين البصرة وبيروت فى يومين، وللسرعة حسابها فى التجارات وفى هــذه الأيام خاصة. وقناة الســويس تنظر بخضوع وحسرة — إن لم تـكن غافلة — إلى هذا المنافس الذى يحاول أن يسترد من بين يديها الثروة والغنى والمجد — والصحارى كالبحار تـكون عازلة حتى إذا مهدت وذللت كانت سبيل القرب وهمزة الوصل. والذين اجتازوا البوادى العربية ورأوا طبيعتها الحجرية لاالرملية دهشوا لهذه الفجاج التى مهدتها الطبيعــة وسوتها يد الله. وقد شهدت عشرات من الرجال مهدوا بأيديهم أميالا من الطرق تمر بهــا سيارات الملك ابن السعود وسيارات جنــده وكل ما عملوا أنهم كنسوها من صغار الحجارة التى تسمى عندهم « بالحراجل »

والمنقبون لا يزالون يكشفون عن آثار حضارات عظيمة فى اليمن وشمال الحجاز وبطرة وتدمر والحيرة فهل يقبل أن تقوم هذه الحضارات فى نواحى الجزيرة وإخوانهم فى جوفها بدائيون غير متحضرين ؟

والآثار تشهد أن تلك الحضارات كانت تجارية، من التجارة ثروتها وربحها، وعليها قيامها وبقاؤها. والتجارات تأتى من طرف الجزيرة إلى طرف وتمر فى مسالـكها، ولابد لهذه المسالك من الاطمئنان والأمن، ولا يكون ذلك إلا فى ظل حضـارة وسلطان قوى

هذه حقائق تمليها الطبيعة وتنطق بها الآثار ولـكن روايات الأخبار التى بأيدينا تغطى هذا أو تطمسه لأن رواياتها دونت بعد صدر من الإسلام وعمل فى تدوينها العرب وغير العرب

أما العرب فقد كان لدى أغلبهم أن الإسلام لا يظهر فضله حتى تـكبر سيئات الجاهلية وحتى لا يكون فى الجاهلية إلا شر قلبه الإسلام خيرا

والإسلام رسالة ووحى ولـكن الذين استجابوا له وقاموا به رجال ربتهم الجاهلية. لابد أن تـكون مواهبهم وتجاربهم قد أعدتهم لقبوله أو النهوض به والله أعلم حيث يجعل رسالته

وأما غير العرب فقد حز فى قلوبهم ضياع أممهم ودينهم ودولهم ولم يستطيعوا عيب العرب إلا أن ينالوا من جاهليتهم. وجهــاد الشعوبية فى هذا كبير ووسائله شتى ظاهرة وماكرة

فلا ينـكر متبصر أن الجزيرة العربية شهدت قبل الإسلام حضارات ذات شأن. وعلى هــذا الأصل نحاول أن نحدد أول الجاهلية العربية قبل الإسلام وسبيل ذلك أن نعرف آخر حضارة قامت بالجزيرة ونحدد نهايتها فتـكون بدء هذا العصر الجاهلى

فإذا اقتصرنا على العصر التاريخى وعلى ما كشف من آثار حضاراته ذكرنا حضـــارة الأنباط وقد كانت فى شمال الجزيرة وامتدت من العراق إلى مصر ووصلنا فى الجنوب إلى وادى القرى وورثت حضارة ثمود وأبقت آثاراً خالدة وصمدت للروم فى حروب شديدة مريرة – ثم حان حينها فأنقضى أمرها على يد « تراجان » سنة ١٠٦ من الميلاد وورثت مكانها تدمر ووسع سلطانها الشام ومصر وما بين النهرين والأناضول إلى أنقرة، وجاء يومها فانقضى

ثورة في الجحيم

للاستاذ حمدي الحسيني

جميل صدقي الزهاوي رحمه الله شاعر عربي كبير نشأ في بغداد واشتغل فيها بالصحافة والتعليم . وقد أصابه وهو في الخامسة والعشرين من سني حياته مرض عضال في نخاعه الشوكي لازمه طول حياته . وقد زار الآستانة في عهد عبد الحميد الثاني فضاق صدر السلطان به ، فتأثره الجواسيس وضيقوا عليه ، فنظم قصيدة ذم بها عبد الحميد وسلوكه ، ودفعته الجراءة أن ينشدها أبا الهدى الصيادي ، فكتب بها أبو الهدى تقريراً دفعه إلى السلطان فكان ذلك سبباً في سجن الزهاوي

أيأمر ظل الله في أرضه بما نهى الله عنه والرسول المبجل
فيفقر ذا مال وينفي مبرءا ويسجن مظلوما ويسبي ويقتل
تمهل قليلا لا تغظ إنه إذا تحرك فينا الغيظ لا تتمهل
وأيديك إن طالت فلا تغتر بها فإن يد الأيام منهن أطول

وقد عين الزهاوي بعد الإنقلاب العثماني أستاذاً للفلسفة الاسلامية في (مكتب الملكية) في الآستانة وعين في الوقت نفسه مدرساً للأدب العربي في جامعة دار الفنون، وانتخب نائباً عن متصرفية (المنتفك) من أعمال العراق ، في مجلس النواب العثماني ، ثم عاد لبغداد بعد انقشاع الحكم العثماني عن العراق ، فعين عضواً في مجلس المعارف ثم رئيساً للجنة ترجمة القوانين العثمانية . وللزهاوي مقالات في مواضيع شتى نشرتها له المجلات العربية المعتبرة ، وله من الكتب العلمية والأدبية الشيء الكثير . وأما دواوينه الشعرية فخمسة دواوين آخرها ديوان الأوشال ، وهو يجمع بين دفتيه كل ما نظم الزهاوي في سن النضوج

يبدو لنا من شعر الزهاوي أنه كان حريصاً على أمرين ، أن يشتهر بالفلسفة وأن يدعى نصير المرأة . ولا نستطيع هنا أن نمر بهذه الظاهرة النفسية دون أن نعللها تعليلا نفسيا . فالزهاوي رحمه الله كان مطوي النفس على شعور بالنقص ، وهذا الشعور قد كونته في نفسه عوامل شتى يرجع أكثرها وأقواها إلى طفولته ونشأته الأولى . وقد يكون المرض العضال الذي أصابه في نخاعه الشوكي سبباً قوياً من أسباب ذلك الشعور . ومن طبيعة هذا الشعور أن يدفع صاحبه إلى الكفاح في سبيل الرفعة بطرق شاذة ، والرفعة في ما وصل إلى يدنا من شعر الزهاوي أصبحنا

ملكها سنة ٢٧٦ على يد أرليان الروماني أيضاً

وكانت الحروب الطويلة القاسية بين الروم والفرس سبب انقطاع التجارة بينهما، وكان لابد للتجارة أن تشق لها مجرى إذا سد مجرى فاتخذت سبيلها في مفاوز البلاد العربية البعيدة عن سلطان الدولتين . وكان الروم أشد حسرة لانصراف التجارة إلى أيدي العرب ولابد لها من هذه التجارة ولابد للغرب أن ينال موارده وقوته من هذه البلاد المشمسة المطرة الغزيرة الإنتاج فكان من عناصر سياسة الرمال وتصميمهم أن يصلوا إلى كنوز الهند وأن تكون تجارتها خالصة لسلطانهم

ولهذا تجشموا الأهوال في القضاء على بطرة وعلى تدمر وحاولوا القضاء على دولة اليمن أيضاً، وأرسل أغسطس حملته المشهورة بقيادة قائده المعظم الياس جلاس فهلك في الصحراء جيشه وعاد بخيبة سجلها رفيقه وصديقه استرابون وأورثتهم يأساً أبديا من أن ينالوا بلاد اليمن عن طريق شمال الجزيرة

وفي القرن الرابع كانت المسيحية قد انتشرت وصالحتها الدولة الرومية البيزنطية واستعانت بها على مد سلطانها . وكان رسل هذه الديانة قد وصلوا إلى الحبشة وبشروا فيها بدينهم فقامت بها دولة مسيحية حبشية تقابل في البلاد العربية دولة اليمن اليهودية . وقامت العداوة بين الأختين؛ فأحباش هذه الدولة من أصل عربي يمني ولكن المنافسة في التجارة والعداوة في الدين أججت نار الحرب بينهما . ومن آثار تلك العداوة حديث الأخدود والنار ذات الوقود . وأرسلت بيزنطة رسلها وسفنها إلى الأحباش فمكنتهم من القضاء على دولة الحميرية باليمن بعد حروب سجال وانتهى بذلك عهد آخر دولة مستقلة قامت قبل الإسلام في الجزيرة العربية وكان ذلك سنة ٥٢٥ ميلادية

البقية في العدد القادم

ابراهيم مصطفى

نعتقد بأن قصيدته الطويلة السالفة الذكر ثورة في الجحيم هي الصورة الصادقة لنفسيته، والمعرض الواضح لآرائه وأفكاره، والوضع الأمين لقوته ونزوعه. أما فلسفته في هذه القصيدة وتردده بين الإلحاد والاعتقاد وحيرته بين الشك واليقين فلا نحب أن نتعرض له الآن لأن التعرض له ليس من غرضنا في هذه الكلمة.

ولنمض الآن إلى ملكي القبر منكر ونكير وهما يسألان الميت في قبره عن السفور والحجاب، هذا الأمر الذي شغل الزهاوي زمنا طويلا واحتمل في سبيله أذى كثيرا:

قال هل في السفور نفع يرجى ... قلت خير من الحجاب السفور
إن في الاحتجاب شلا لشعب ... وخفاء وفي السفور ظهور
ليس يأتي شعب جلائل ما لم ... تتقدم إناثه والذكور
إن في رونق النهار لناسا ... لم تزل عن عيونها الديجور

بعد أن أتم الملكان استجوابهما للميت عذباه عذاب القبر وأخذاه إلى الجنة ليجعلا من رؤيته لها عذابا له فوق عذابه. ثم أخذاه إلى الجحيم فقذفا به في جحيمه فالتقى هناك بالأشقياء المذنبين أمثاله؛ وهناك قد جمع الألم المشترك بين القلوب المتباعدة، وكون العذاب بين المذنبين وحدة دفعتهم لأن يفكروا بالخلاص من عذاب الجحيم فعقدوا اجتماعا تبارى فيه الخطباء في حض الجمهور المعذب على إنقاذ نفسه من بلاء الجحيم، فقام شاب من شباب الجحيم وألقى خطبة تحريضية حرض فيها الملايين المعذبة في ذلك الجحيم على الكفاح ضد الظلم والاستبداد

قال يا قوم إننا قد ظلمنا ... شر ظلم فما لنا لا نثور
اجسروا أيها الرفاق فما نا ... ل بعهد الآمال إلا الجسور
إنما فاز في الجهاد من النا ... س بآماله الكبار الكبير
قاوموا القوة التي غشـ ... ـمت والدهر مادام للقوي ظهير

فتحمس سكان الجحيم حتى دفعت الحماسة أكثرهم رصانة كأبي العلاء المعري فوقف هو الآخر يحرض الجمهور تحريضا عنيفا فقال:

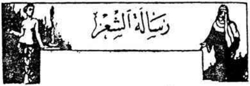
غصبوا حقكم فياقوم ثوروا ... إن غصب الحقوق ظلم كبير

فرد عليه الجمهور الحانق الغاضب:

غصبوا حقنا ولم ينصفونا ... إنما نحن للحقوق نثور

وهنا قام سكان الجحيم قومة رجل واحد واندفعوا نحو الزبانية، ووقعت المعركة الحاسمة، فاحتل سكان الجحيم الجنة وأقاموا فيها منعمين مرفهين

حمدي الحسيني



رحلة في وجوه الناس

صحراء العجائب

«إلى أصحاب الوجوه المستعارة...»

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

تجولت في صحراء تلك العجائب
وفي سرها المطموس حول الحواجب
وعوذت نفسي قبل أن أبدأ السرى
لعلي أنجو من سموم العقارب
وقلت لعل الله ينصر رحلتي
فأغنم صيداً نافراً لحقائبي
وألقيت أشراكي لها وحبائلي
ومرت كحاو هام بين الخرائب
وتعويذتي الكبرى سكون يحوطه
تربص شيخ مل طول التجارب

* * *

أمامك ربي! ذلك الوجه ربوة
تغني بها الأطيار من كل جانب
تكاد تنادي العاشقين إلى الهوى
وتجري لهم أسحارها في المشارب
مزررة الأغصان بالعطر والندى
وهمس الصبا في مرعشات الترائب
وتخفي دروباً في الظلال لئيمة
بها الربيع ما أبقت حذاراً لهائب

عداد الحصى فيها أقاح حبيبة
كريمات صب الموت فوق المعاطب
تجود به سحا نضيراً ممطرا
تدير به النجوى خدود الكواعب
وتجريه ضحاك الردى ، كل بسمة
تهب مع الساقى بسهم وضارب
وقفت طويلا عند أعتاب روضها
وناديت رب الكون.. ماذاك صاحبى!
أجرنى ! فهذا الوجه كم صدت مره
ولو كان معصوما بقدر الغياهب
فلم ألق إلا آدميا يسوته
بجنبيه ذئب مستعار المخالب .

* * *

ووجه به وجهان : وجه مقنع
بآخر مدسوس بزى المناكب
يجارى وجوه الناس فى كل نظرة
ويسرب فى إعتامها كالثعالب
ذليل لما يصغى إليه ، فسمعه
خطام ذلول فى حبال كواذب
ترى طرفه عبداً لعينيك ضارعاً
على أى حال من فنون التخاطب
تنوح فيموى ، أو تصيح فيمحى
ويصبح شيئاً من سكون المحارب
برت آية البهتان جلدة وجهه
مطايا رياء لا تضيق براكب
إذا قيل هذا الصخر ماء .. رأيته
يردد للينبوع شوق السباسب
وإن قيل هذا الماء نار .. رأيته
عليها مجوسيا عريق المذاهب
وإن قيل تلك النار فجر .. رأيته
أذان مصل هز سمع الكواكب
وإن قيل هذا الفجر قبر رأيته
من الشكل يستجدى دموع النوادب
تلاشى بلا موت ، وأودى بلا ردى
لعل بهذا النعش بعض المكاسب ..
أمانك ربى منه ! هـذا منافق
أخف لقاء منه وجه المصائب
إذا انفردت بالله أبعاد نفسه
- وهيهات - يلقاه بزهو المحارب
وإن مر جلاب الفتات ، رأيته
بلا أى ذنب ، فى سرابيل تائب
تقوس واستخذى على الزور ظهره
وكبر لا لله ، بل للرغائب
فخلت صلاة لم يحن بعد وقتها
وظلا من الأوثان فوق المناصب ..

* * *

ووجه سراب البيد يخشى ظنونه
فيزور عن رؤياه خوف العواقب
يمر به مر الظنون كأنه
من الدهر صدق مر فى وجه كاذب
وعمن فى نجواه عرافة الضحى
فتنكت فى خط على الرمل خائب
يلم أجواز الفلا كيف تصطلى
لظلمائها ود الرياح الحواصب
تعمى على مرآته ، فهو صوبها
رؤى صدا على الزجاجة هارب
يخادع حتى نفسه ، فطريقها
بجنبيه جب تاه فى الجوانب
تهدج ، واستحيا ، وهوم ، واختفى
بجفنين سمابن تحت المسارب
لمحت فلاه من بعيد ، فصرصرت
بسمى رياح الخاتل المتثائب

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

حقيقة التشويه العلمي في « الإشارات الإلهية » :

مرة أخرى نعود .. ولا مناص من هذه العودة لأنها استجابة لرغبة القراء . نعود لنكشف عن حقيقة « التشويه العلمي » الذي أحدثته عبقرية الفيلسوف الأول في « الإشارات الإلهية » .. ومعذرة من هـذا التعبير الذي ينسب التشويه إلى العلم أو يجعل العلم منسوبا إليه ، لأن العلم هنا بدلالته الخاصة مقصور على الدكتور عبد الرحمن بدوي !

وقبل أن نكشف عن حقيقة هذا « التشويه العلمي » نود أن نقف قليلا لنقول كلمة أو كلمتين .. ترى هل قرأ الدكتور بدوي كتاب « كليلة ودمنة » ؟ إننا نشك كثيرا في أنه قد قرأ هـذا الكتاب ، ومبعث هذا الشك أن في الكتاب فلسفة صادقة ، كان من الممكن أن ينتفع بها فيلسوف مصر الأول .. لو أنه التقطها من لسان بيدبا الفيلسوف ! ولسنا نريد من الدكتور بدوي إلا أن يرجع إلى هذا الكتاب ليخرج بشيء من الفلسفة الشرقية ، شيء بسيط لا يدق على فهمه كما دقت عليه أصول الفلسفة الغربية .. قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : إضرب لي مثل الرجل يرى الرأي لغيره ولا يراه لنفسه . وجمع بيدبا الفيلسوف أطراف فلسفته ، وقص على الملك قصة مالك الحزين .. ورحم الله بيدبا الفيلسوف ، فلو كان يعيش بيننا في هـذه الأيام مع دبشليم الملك ، لاستبدل بقصة مالك الحزين قصة عبد الرحمن بدوي !

إننا لا نعني قصته في « الإشارات الإلهية » فإن لها حديثا غير الحديث ، ولكن الذي نعنيه هو قصته الأخرى التي قادنا إليها كتابه الآخر : « أرسطو عند العرب » ، وهو مجموعة نصوص نشرها وحققها بطريقته المعروفة . وافتح الصفحة الرابعة والستين من هذا الكتاب ، وتوقّ برئتيك إن كنت من أصحاب الصدور

فقلت : معـــاذ الله ! ضعف وقدرة
وليل ضياء فيه فجر غياهب ! ..

° ° °

ووجـه دعي الأفق ، لا شأن عنده
عبا حط في أعمـــاقه من مثالب
طغى فوقه ضب الغرور ، فأنفه
كرمة طير كفنت بالطحالب
يشيح فضاء الله خزياً لحقه
وتمور له حزناً شقوق الجنادب
تورم ، وانقدت من الصدر نفسه
فلم يبق منه غير تل المناكب
وغير سطور فوق كثبان وجهه
تشين من البهتان أقدس كاتب ..

° ° °

ووجه سألت الله لامر ثانيا
ولا اتجهت يوماً إليه مذاهبي ..
به سحنة الواشي ، لها سبع أعين
وسبع آذان ، وسبع حقائب
يطل كركب من بني الجن ظامئ
يحدج في نبع من الماء ناضب
ويصغي كحراس مشى في ترابهم
دبيب من الأوهام طاي الكتائب
وتزحف كالثعبان آفاق سمعه
لتستل ما تبغيه من كل صاحب
جزوع إلى الأسرار ، يلعق طيفها
كذئب غريب الناب ، حيران ، ساغب
وينبش في غيب العباد ، فلا ترى
له نظرة إلا برفش وحاطب
سألت له الرحمن .. قبراً كوجهه
تعيث به الآثام في كل جانب ...

محمود حسن اسماعيل

الضعيفة ، قبل أن نطلقها ضحكة عريضة تملأ الفضاء العريض !

قال الدكتور عبد الرحمن بدوى وهو يتحدث عن منهجه فى نشر المخطوطات ، فى شىء من الفخر وشىء من السخرية ، الفخر « بعلمه » والسخرية من « جهل » غيره ، قال لا فض فوه وهو يعيد علينا قصة مالك الحزين ويذكرنا بمثل بيدبا الفيلسوف : « والمنهج الذى نتبعه فى النشر منهج بسيط ، وبقدر ما هو بسيط هو خصب دقيق معا : وهو أن نجيد قراءة المخطوط عن تدبر وحسن فهم (هكذا والله العظيم) ! . . وهذا مبدأ على الرغم من بساطته ووضوحه كثيرا ما أغفله الناشرون أو بالأحرى أجهلوا منه وكأن من أخطاء فى تحقيق النصوص لم يكن السبب فيها إلا عدم إجادة القراءة ! وليس الأمر فى النشر أمر هـــذه المخطوطات وكثرة اختلافات القراءة ؛ إنما المهم أن تقدم للناس — على أساس ما تيسر لك من مخطوطات ، قلت أو كثرت أو كانت وحيدة — نصا جيدا يحاكى تماما ما فى الأصول المخطوطة بعد تدبرها تمام التدبير. فالذين مارسوا المخطوطات يعرفون أن ثمت أحوالا من إهمال النقط أو تشابك الحروف أو تقلب النقط من فوقها واضطرابها بين حروف الكلمة الواحدة أو الكلمات المتجاورات . ومثل هذه الأحوال لا يمكن أن تعد اختلافات فى القراءات ، إنما هى عوارض شخصية فى المخطوطات ، يجب أن يستقريها الناشر لنفسه أثناء قراءاته الأولى للمخطوطة ثم يعين — لنفسه أيضا — أحوال اطرادها حتى يتهيأ له جهاز تحليلى لحسن القراءة . وإلا فستكون النتيجة أن يضل القارئ إذا ما ذكر فى الجهاز النقدى كل ألوان الإهمال أو الهفوات المعينة لسقطات القلم ، فلا يستبين ما إذا كان بإزاء اختلاف قراءة أو مجرد مخالفة خطية أو قلمية تافهة ومفهومة.

ولهذا فلسنا نتردد فى اتهام أولئك الذين يلجأون إلى هذه الطريقة بالعجز عن فهم النصوص وقراءتها ، أو بالتمويه على القارئ بوضع جهاز نقدى ضخم محشو بهـذه الاختلافات المزعومة ليدخل فى روعه أن الناشر قد بذل مجهودا هائلا . والحق أنه لم يبذل شيئا أكثر من جهد النسخ والمسخ معا ، دون أن يبذل أى مجهود فى الفهم وتدبر المقروء . ومع ذلك تراهم يصيحون ملء أشداقهم ، وتصف ألسنتهم الكذب : إن هذا هو المنهج العلمى الصحيح ! مع أن الأولى بهم أن يسموه : منهج الإحصاء الآلى العاجز

ولــكم رأينا فى مقارنتنا لبعض النصوص التى نشرها هؤلاء « الناشرون » المزعومون بالأصول المخطوطة التى نشروا مانشروا عنها أن ما ادعوه « تحريفا » أو « اختلاف قراءة » لم يكن فى الواقع إلا « سوء قراءة » من عيونهم وعقولهم » ! !

أنظر ! إن عبد الرحمن بدوى هنا يشرح لك طريقته فى نشر المخطوطات ، ثم يتخذ من هذه الطريقة دستورا يأمر الناشرين بأن يعملوا به ، مرتديا ثوب الأستاذية الموجهة وسالكا نهج مالك الحزين ، ذلك الذى يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه . ترى هل يتقبل الدكتور بدوى هذه الكلمات الرائعة ، هدية متواضعة ؟ ! إنها كلماته هو ، تلك التى وجهها إلى الناشرين الجهلاء . واستمع إليه معجبا ومقدرا حين يقول : « ولكم رأينا فى مقارنتنا لبعض النصوص التى نشرها هؤلاء الناشرون المزعومون بالأصول المخطوطة التى نشروا مانشروا عنها ، أن ما ادعوه تحريفا أو اختلاف قراءة لم يكن فى الواقع إلا « سوء قراءة » من عيونهم وعقولهم » !

لكم يهزنا هذا التعبير الأخير .. حقا إن بعض العيون تسىء القراءة وكذلك بعض العقول ، ولكننا لم نر ولم نسمع أن عين ناشر أساءت القراءة كما أساءتها عين فيلسوف مصر الأول ، وقل مثل ذلك عن عقله إذا كنت من المنصفين ! هل رأيت فى حياتك ناشرا هو فى نفس الوقت أستاذ جامعى ، يعجز عن قراءة فقرات كاملة فى مخطوطة ، فيحذفها من النص بكل بساطة ولو تمزق التعبير واختل السياق ؟ ! لقد فعل ذلك العالم الجليل السيد بدوى فى « الإشارات الإلهية » . هل كانت الفقرات التى حذفها مطموسة أو ساقطة أو غير واضحة ؟ كلا والله العظيم ، ولكنه العجز المطلق والاستهانة بعقول الناس والعبث بالأمانة العلمية . . ومعنى هذا أن المسألة مسألة مزاج فى إنطاق أبى حيان أو إسكات أبى حيان ، ورعى الله الأمزجة النادرة عند بعض الأساتذة الجامعيين ! !

لقد قلنا إن نشر هذا الكتاب بهذه الصورة فضيحة علمية ، وهذا هو أول ركن من أركان الفضيحة. ولو اقتصرنا عليه لما أنقص ذلك من حقيقة الاتهام .. وليت الدكتور بدوى قد وقف بمواهبه عند هذا الذى قلناه ، ولكنه مضى فى طريقه غير هياب ولا وجل ، تعبث عينه بقراءة الكلمات ويعبث عقله بتفسيرها فى

جرأة تذهل الأفهام ! وتخرج من هـذا كله بأن الحس اللغوى عند الناشر لا وجود له ، وكذلك الذوق الفنى الذى ينظر إلى موضع الـكلمة من السياق حين ترجى سلامة التعبير واستقامة التفسير ، وإليك بعض النماذج التى ننقلها بتعليقاتها عن صديقنا الـكاتب المحقق الأستاذ سيد صقر ، مع صادق التهنئة له وخالص التقدير :

« ٢٠ – ص ٢٢ « فلا العلم باختـلاف الأحوال نافع ، ولا الجهل به ضار ، بل ربما ضر العلم ، وربما نفع الجهل ، وربما نبل بالخبط ، وربما فات بالتأنى ، وربما بعـد الدانى ، وربما قرب النائى . . »

قال الدكتور ، وما أغرب ما قال : « نبل : التقط النبل ، ثم دفعها إلى الرامى ليرمى بها من جديد . والخبط : النبل يرمى بها . والمعنى أنه ربما يلتقط النبل بالنبل، أى يداوى الداء بالداء نفسه »!.

ماذا أقول فى نقد هذا الشرح العجاب ؟ أقول إن مثل هذا الفهم هو الذى شحذ عزم أبى حيان على حرق كتبه بالنار وغسلها بالماء ، وجعله يقول لمن لامه على صنيعه : « فشق على أن أدعها لقوم يتلاعبون بها ، ويدنسون عرضى إذا نظروا فيها ... وإن عيانى منهم فى الحياة هو الذى حقق ظنى بهم بعد الممات » !

رحمك الله يا أبا حيان، فقد كنت ترى الغيب من وراء حجاب ، وجاء من بعدك من يصحف عليك صحيح كلامك ويخبط فى فهم معناه خبط عشواء ، بل ولا يحسن قراءته . جاء فى النسخة المخطوطة : « وربما نيل بالخبط ، وربمـا فات بالتأنى ... » أى وربما خبط الإنسان فى ابتغاء مراده خبط عشواء فناله ، وربما تأنى لنيله أشد التأنى ففاته ولم يدركه

ومن أعجب العجب أن ناسخ الـكتاب قد احتاط ، ووضع كـرة ظاهرة تحت نون « نيل » حتى لا يخطىء فى قراءتهـا إنسان . . وصدق أبو حيان فى نعته الذى نتمثله فيمن نراهم بين ظهرانينا ممن نالوا بالخبط درجات العلماء !

٢٠ – ص ٣٦ : « وسقيا للرسائل التى كانت تجرى بيننا وبينكم ، نعم ورعيا للوسائل التى كانت تتردد عندنا وعندكم ، والوشاة على خيبتها فى الظفر بتأذيكم » قال الدكتور فى تعليقه : « فى الأصل بناويكم ، أو صوابه : بناديكم »

ولا معنى هنا لظفر الوشاة « بتـأذيكم » أو « بناديكم » . .

وبديهى أن صواب الأصل « والوشاة على خيبتها بتناويكم » !

٢٣ — ص ٣٥ : يخاطب أبو حيان الإنسان المبتدع بالقدرة الإلهية المحفوف بالنعم الملكية ، ويطالب إليه أن يتأمل مواقع آياته فيه ، ويستنطق شواهد آثاره عليه ويقول له : « أنظر بأى فضل خصك . . وأى ملك قلدك ، وأى مشرب صفّى لك ، وبأى لطف حاشك ، وبأى شئ سكّر جاشك ، وبأى صنع أزال استيحاشك ولأى أمر أعاشك » ثم يشرح أبو حيـان ما ذكره ، فيقول : « قلدك ملـكا هو نهاية آمالك ، وصفى لك مشربا متى كرعت منه لم تظمأ بعده ، وحاشك بلطف هـو الذى جعلك مغبوطا فى حالك ، وسكر جاشك بشئ هـو الذى أنالك مرادك ، وأزال استيحاشك بصنع أدركت به كل آمالك . . »

ومن العجيب حقا أن يقول الدكتور فى شرح قول أبى حيان « وبأى لطف حاشك ، وبأى شئ سكر جاشك » : « حاشك هنا بمعنى اصطادك ، وسكره بتشديد الكاف تسكيرا: أى خنقه . والجاش : نفس الإنسان » !! .. وأى عجب أعجب وأغرب من أن يقول أبو حيان للإنسان الذى يذكره بنعم الله عليه: أنظر كيف خصك بالفضل فاصطادك وخنق نفسك « بشئ هو الذى أنالك مرادك » !!

وصواب قول أبى حيان « وبأى شئ سكن جاشك » و « سكن جاشك بشئ هو الذى أنالك مرادك » .. ولا ريب فى أن « سكون النفس » من أنعم الله الخليقة بالتدبر ، الجديرة بالتأمل . وأما « اصطياد النفس وخنقها » فمصيبة كبرى ، ولعل فى حشره بين أنعم الله التى حف بها عباده سرا فلسفيا دفينا يدق على الأفهام ، وتقصر عنه المدارك والعقول !!

١٢ — ص ٢ : يقول أبو حيـان . « يا هذا إن كنت ثاكلا فخٍ على ما أصبت به ، وإن كنت مكروبا بالسر فبُح »

أخطأ الدكتور فى ضبط هاتين الـكلمتين كما أخطأ فى شرح المعنى ، إذ يقول : « أى ألق على مصـابك » !!! والصواب « فنُحْ على ما أصبت به » ، ويؤيده قول أبى حيان فى ص ١١٣ : « ونح على نفسك نوح الثكول » . وهذا هو البيـان الصريح واللفظ الصحيح كما قال أبو حيان فى ص ٢٩٤ ، فمن أخطـأه فليقرأ تمام كلامه فى الصفحة نفسها ، فإنه يقول : فأطل البكاء ،

وأجدّ اللاطم ، وتجرع مرارة الكأس ، المترعة بالحسرة واليأس . وليت البكاء نفعك ! وليت النوح أجدى عليك ! وليت الحسرة أفادتك ! وليت الندامة نفعتك ! هيهات ! فتّ فوتا لا درك بعده ، وبدت بيودا لا عود معه ، والعثرة غير مقالة ، والمحنة غير مزالة ، والحال غير محاله ... »

٤ — ص ١٧ : يقول أبو حيان مخاطبا أحبابه : « فارعوا ذمام خدمتي لكم ، وحافظوا على ما تحملت فيكم ، فقد شربت العلقم في هواكم ، وداريت المدى تحملا لكم ، ولزمت الصمت حتى نسيت الكلام ، واعتزلت حتى قيل هو من الوحش ، وغمضت الطرف حتى قيل هو من العميان »

قال الدكتور عبد الرحمن بدوي في شرحه : « الكلام هنا بمعنى علم الكلام ، والقرينة في قوله : اعتزلت ، أي صرت من أهل الاعتزال أو المعتزلة ، واعتزلت بعدها بمعنى توحدت وانفردت » !!

هذا شرح مضحك حقا ؛ فإن أبا حيان لم يرد بالكلام إلا معناه المعروف للعامة والخاصة . ولست أدري كيف فهم الدكتور أن أبا حيان نسي « علم الكلام » لما لزم الصمت . وما العلاقة العجيبة بين هذا الصمت وعلم الكلام !؟ وكيف تكون « اعتزلت » بمعنى توحدت وانفردت ، قرينة على أن المراد بالكلام « علم الكلام » وما الصلة بين التوحد والانفراد وبين مذهب الاعتزال ؟ لست أدري .. ولعل هناك صلة فلسفية لا يدركها إلا عقل فيلسوف !

٣ — ص ٢٣١ : « نعم يا سيدي إن الحديث من القِرَى »

أخطأ الدكتور في ضبط كلمة « القرى » ونقطها وشرحها وقال « الفرى كفنى ، يقال هو يفري الفرى : أي يأتي بالمعجب في عمله » !

والصواب : « إن الحديث من القِرَى » وهو تعبير مشهور متداول في كتب الأدب ، قال الشاعر :

لحافى لحاف الضيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزال مقنع
أحدثه إن الحديث من القرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

راجع حماسة أبي تمام ٤–٢٤٤ ، وقال آخر :

ورب نضو طرق الحي سرى صادف زادا وحديثا ما اشتهى
إن الحديث جانب من القرى

وأظن أن قرى الأضياف بين لا يحتاج إلى شرح نظرى !

٥ — ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ : يقول أبو حيان في الحديث عن قصر العمر : « فما لبثنا في هذه البلدة الوبيئة الحرجة إلا .. كحلم النائم في الليل ، أو كظل قد أخذ في النقصان ، أو كالتّقابة من مول ، أو كتوهم من النفس ، أو كلمح البصر أو هو أقرب »

قال الدكتور : « النقابة بفتح النون : مصدر نقب على القوم من بابي علم وكرم : صار نقيبا عليهم ، أو النقابة بالكسر : الاسم ، وبالفتح المصدر » !!!

ويبدو أن الدكتور لم يحسن قراءة الكلمة في المخطوطة . فأخطأ في نقطها وشكلها وشرحها خطأ بعد بها عن المعنى .. والصواب : « أو كالتفاتة من مول » فإن قصر الالتفاتة من الذاهب المولى المتلفت إلى ماوراءه ، هو المناسب للمح البصر وماقبله من تشبيهات ، وأما قصر مدة نقابة النقيب فشئ غير معروف ولا معنى له ، « معذرة يا أستاذ صقر ، فهو معروف في نقابة المحامين والصحفيين !! » ، ولست أدري كيف استساغ الدكتور قرنها بحلم النائم ولمح البصر في مضمار التشبيه !

١٠ — ص ٤ : يقول أبو حيان : « وإن جنحت إلى التواني ، وذهبت في آفاق الأماني ، لم ترث من حالك إلا حسرة ولم تمضغ بفمك إلا جرة ، يا هذا خفض أمي عما ساءك طلابه ؟

« ما كل شائم بارق يسقاه »

حسب الدكتور أن هذا النص نثر كله وليس فيه من الشعر إلا الشطر الذي أفرده في سطر وحده ، وليس الأمر كما حسب ؛ فإن آخر نثر أبي حيان كلمة « ياهذا » ، وما بعدها بيت من الشعر عثل به وهو :

خفض أمي عما شآك طلابه ما كل شائم بارق يسقاه

فساءك محرفة من « شآك » ، والبيت للبحتري كما في ديوانه ٢ — ٣٢٣ وقبله :

والشئ تمنعه يكون بفوته أجدى من الشئ الذي تعطاه

« معذرة مرة أخرى يا أستاذ صقر ، لأن الدكتور بدوي

لا يحفظ من الشعر إلا أجدره بالخلود .. أعني شعر ديوانه الخالد مرآة نفسي » !!

* * *

هذه هي بعض النماذج نقلناها إليك كما قلنا من المقالين اللذين كتبهما الأستاذ صقر ، وكشف فيهما عن مهزلة التحقيق العلمي في « الإشارات الإلهية ».. ومع ذلك يقول فيلسوف مصر الأول في كلمته التي اقتطفناها من كتابه الآخر « أرسطو عند العرب » يقول في جرأة يحسده عليها الناشرون الزعومون : « والمنهج الذي نتبعه في النشر منهج بسيط ، وبقدر ما هو بسيط هو خصب دقيق معا : وهو أن نجيد قراءة المخطوط عن تدبر وحسن فهم » !

ألم نقل لك ترفق برئتيك إن كنت من أصحاب الصدور الضعيفة ، قبل أن تطلقها ضحكة عريضة تملأ الفضاء العريض ؟! ألم نقل لك إن نجيب الريحاني الذي كان نابغة عصره في إضحاك الناس لم يمت ، لأن عبد الرحمن بدوي قد ملأ مكانه بجدارة ؟!

إذا كنت في شك من هذا فارجع إلى النماذج السابقة التي نعرض لها الأستاذ صقر ، ثم قف طويلا عند هذا النموذج الذي لم يتعرض له بعد ، لأننا نقدمه إليك على أنه « نكتة الموسم » التي تنتزع الضحك انتزاعا من أفواه الثاكلين :

إفتح الصفحة السادسة والأربعين بعد المائة من كتاب « الإشارات الإلهية » ، واقرأ في نهايتها قول أبي حيان المتوى عليه « فقد جمدت العيون فما تدمع ، وتكبرت القلوب فما تخشع ، وكلبت البطون فما تشبع ، وغلبت الشقوة فما تنزع ... ياهذا ، إننا نتنفس بهذه الكلمات كما يتنفس الملوق »

قال العالم الجليل السيد عبد الرحمن بدوي في شرح كلمة الملوق : « إما أن يكون من ملق (من باب نصر) فلانا بالعصا : أي ضربه ، ويكون المعنى هو : المضروب ؛ وإما — وهذا هو الأرجح هنا — من قولهم فرس مملوق الذَّكَر : حديث عهد بالنزاء » !!!

صدقني إذا قلت لك عن عبد الرحمن بدوي إنني أشك في سلامة عقله . أشك في سلامة عقله ولا يمكنني أن أشك في سلامة عقل أبي حيان ، لأن أبا حيان ليس مجنونا حتى يقول للناس إنه يتنفس بهذا الكلام كما يتنفس ذكر الفرس عقب لحظة من لحظات النزاء .. هل عند نجيب الريحاني نكتة تستطيع أن تقف على قدميها لتنافس نكتة الدكتور عبد الرحمن بدوي ؟! لا أظن . . ولا أحسب أن في هذه الكلمات شيئا من المغالاة !

هل انتهيت ؟ كلا . . فما زالت أمامي المقدمة التي كتبها الدكتور بدوي وضم فيها أبا حيان إلى زمرة الأدباء الوجوديين! وحين ينتهي الأستاذ صقر من سلسلة مقالاته ، سنبدأ نحن سلسلة مقالاتنا حيث نطالب بعدها بحرق هذا الكتاب ، وما أكثر ما يملك الدكتور بدوي من كتب تستحق الحرق بالنار بعد الغسل بالبنزين !!

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

رسائل الرافعي :

في سنة ١٩١٢ كان الأستاذ محمود أبو رية أديباً ناشئاً ، وقد أعجب بالأديب الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ، فاتصل به عن طريق المراسلة ، حتى نمت العلاقة بينهما وصارت صداقة ومودة . كان أبو رية يكتب إلى الرافعي يسأله عن كثير من شؤون الأدب ومسائله ، فيجيبه برسائل تحتوي على كثير من الآراء واللمحات في إيجاز تقتضيه طبيعة الرسائل الخاصة ، وكان الرافعي يرسل نفسه على سجيتها في هذه الرسائل لايكاد يخفي شيئاً من نوازعه وخواطره .

وقد ظفر الأدب من تلك المراسلة بهذا الكتاب « رسائل الرافعي » الذي أصدره أخيراً الأستاذ محمود أبو رية ، مشتملا على ٢١٨ رسالة انتقاها من بين ما كتب إليه الرافعي « لما فيها من فوائد جليلة للأدب والتأدبين بله ما تحتوي عليه من تفصيل شامل لتاريخه الأدبي وغير الأدبي » كما قال في مقدمة الكتاب . وقد عنون لها بما يدل على أهم ما فيها ، ورتبها ترتيباً زمنياً ، يبدأ من سنة ١٩١٢ إلى سنة ١٩٣٤ ، فجاءت (فلما) يعرض أطرافاً من حياة الرجل الشخصية والأدبية وملامح من تيارات الحركة الأدبية في مصر طيلة تلك الفترة من الزمان . والقيمة الكبرى لهذه الرسائل هي أنها تصوير صادق لنفسية الرافعي ودوافعه الأدبية ، وفيها إلى جانب ذلك تلك الفوائد الأدبية التي أشار إليها الأستاذ أبو رية ، وفيها أيضاً إشارات كثيرة إلى ما كان بين الأدباء في ذلك الزمان من مجاذبات يلونها الرافعي بعاطفته الخاصة ، إذ كان يقف من أكثر أدباء الجيل موقف المخاصم النافع ، وقد أحسن الأستاذ أبو رية بحذف بعض العبارات القاسية التي وصف وعبر بها عن أولئك الأدباء ، والاكتفاء بالخفيف المقبول منها . وفي الرسائل كلها روح لطيف ممتع ، هو روح الطبيعة المطلقة غير المتحرجة ، إذ أن كاتبها لم يكن يقدر — ولاشك — أنها ستنشر على الناس .

في هذا الكتاب يبدو الرافعي «وراء الكواليس» كما يعبرون بلغة المسرح .. فهو يحدث أبا رية عن مؤلفاته ومقالاته ، لم كتب هذا أو ذاك ، وما وقعه ، ومتى يكتب مقال كذا أو يشرع في تأليف كذا ، ويحدثه مع ذلك عن آلامه وأمراضه ومنها ما ناله بسبب الكتابة ... إلى آخر هذه الملابسات. ومما يستشفه القارئ من هذه الرسائل ، اعتزاز الرافعي بأدبه اعتزازاً يبلغ به درجة الغرور ، ومحبته السافرة للتقريظ والثناء ، فهو يرى أنه ــ وحده ــ أديب الزمان ، وسائر ما يكتبه الأدباء « تدجيل صحفي » لم يكد يسلم من تجريحه أحد من أعلام الأدب في عصره ، وهو يحدث أبا رية عن حملاته الأدبية وكيف أنها نسفت من نازلهم أو أنه سيكتب عن فلان ما لن تقوم له بعده قائمة ، ويتمنى أن يتفرغ للنقد نحو سنتين أو ثلاث ليهدم العصر كله من جميع نواحيه الضعيفة ويبني عليه أدباً جديداً ، ولقد كان ذلك رأيه في الوقت الذي بلغ فيه الأدب المصري الحديث أعلى ما بلغه من القوة والازدهار ، ولقد كتب هو في النقد فكانت كتابته أقرب إلى الشتم والهجاء وخاصة ما كان يسميه « السفافيد » التي كان يشوي عليها من يمزق لحومهم . .

وهكذا نرى الرافعي في هذه الرسائل يعد نفسه فارس الحلبة ، ويرى أنه وحده الواقف في الميدان ، وهو يصرح بذلك في هذه الرسائل الخاصة ، وكان حياؤه ولباقته وفطنته عنعه من هذا الادعاء في أدبه العام . ولعل ذلك راجع إلى ما كان يراه من تقدير الناس لغيره أكثر منه ، فهو يحاول أن يعوض هذا النقص بلسانه في الخفاء ، وإن لم يتقل به في العلن . .

وهو يحب الثناء ويطلبه ، يطلب من أبي رية أن يكتب عن كتبه في الصحف ، ويسر كل السرور من تقريظ المقرظين ، بل هو يجعل الثناء عليه مقياساً لقيمة المثني . وهو لا يرى أدبه أحسن من الأدب المصري الحديث فقط ، بل يفضل بعض كتبه ومقالاته على ما كتب الأقدمون ، وعلى ما كتب كتاب الغرب

مثل برجسون وشكسبير ولامرتين

وبعد فقد أحسن الأستاذ محمود أبو رية بإخراج هذا الكتاب القيم الممتع الذى أضاف به لوناً طريفاً إلى كتب الأدب

ضبط الكتابة العربية :

ألقى الأستاذ محمود تيمور بك محاضرة فى «ضبط الكتابة العربية» بإحدى جلسات مؤتمر المجمع اللغوى الماضية ، وقد بسط فيها المصاعب التى تعترض ضبط الكتابة العربية على صورتها الحالية ، مما يؤدى إلى الخطأ فى نطاق الكلمات وتعذر القراءة الصحيحة ، لا على عامة المتعلمين فقط ، بل إن المختصين فى اللغة لا يستطيعون الضبط التام إلا باطراد اليقظة ومتابعة الملاحظة ومزيد التأنى

وبعد أن جال الأستاذ تيمور بك فى نواحى هذه المشكلة ، عرج على ما اقترح لها من حلول فبين عدم صلاحها ، وخاصة أنها إما تباعد بين الشكل القديم المألوف والوضع المقترح أو تثقل العمل المطبعى وتعقده ، ذاهباً إلى أن الإجراء الذى يمكن أن نكفل له قبول الأمة العربية فى جملتها ، هو أن يكون لمشكلة الكتابة العربية حل لا تتغير به الحروف القائمة ولا تتنكر معه صورتها المألوفة

ثم أبدى الأستاذ ما يقترحه من حل ، قائلا : أرى أن نقتصر من صور الحروف على صورة واحدة ، من الصور المتعددة التى منها المفرد ومنهـا مايقبل الاتصال بحسب أول الكلمة ووسطها وآخرها وبحسب وقوع الحروف فى بنية الكلمة المركب بعضها فوق بعض ، وأن نتخذ علامات الضبط المتعارفة التى يجرى بها الاستعمال ، وأقترح أن تكون الصورة التى نقتصر عليها من صور الحروف هى الصورة التى تقبل الاتصال من بدء الكلمات ، وهى التى يسميها أهل فن الطباعة : حروفاً « من الأول » ، على أن نختار الكاف المبسوطة وتظل حروف الألف والدال والذال والراء والزاى والواو والتاء المربوطة واللام ألف — باقية على صورتها فى حالة إفرادها

وقدم الأستاذ مثالا للطريقة التى يقترحها ، منه ما يلى :

« أريـ أنـ نـقـتـصـر مـنـ صور الـحـروفـ عـلـيـ صورة واحـدة »

ويرى قراء الرسالة هذا البحث القيم منشوراً فى هذا العدد والذى قبله.

وقد التقيت بالأستاذ تيمور بك وحدثته فى أمر هذه الطريقة من حيث ما يلقاه الذين اعتادوا الكتابة الحالية من مصاعب فى الكتابة الجديدة ، فقال إن هذه الطريقة خاصة بالطبعة ، أما الكتابة باليد فتظل على حالها ، أسوة بما يجرى فى اللغات الأوربية

ولكنى ألاحظ أن الكتابة الأوربية اليدوية تشتمل على حروف

كشكول الأسبوع

▫ يهتم معالى الدكتور طه حسين باشا بتنفيذ رغبة ملكية كريمة فى إنشاء جوائز لتشجيع الفنون الجميلة تسمى « جوائز اسماعيل » أسوة بجوائز فؤاد وفاروق للعلوم والآداب.

▫ ذكر مندوب الأهرام أن هناك اقتراحا يبحث الآن لإنشاء جائزة عامة باسم « محمد على » يشترك فيها المؤلفون باللغة العربية ، على غرار النظام الخاص بجائزة نوبل ، وذلك لحفز أدباء العالم العربى على التأليف والترجمة .

▫ اقترح معالى السيد محمد رضا الشبيبى فى مؤتمر المجمع اللغوى ، وضع معجم الألفاظ القرآن الكريم يشرح فيه ماورد فى القرآن من الأعلام كأسماء الرسل والبلدان على وجه يتلاءم مع الحقائق والمعارف العلمية إلى جانب المعجم اللغوى لألفاظ القرآن الكريم .

▫ واقترح الأستاذ عباس محمود العقاد تأليف موسوعة القرآن الكريم على مثال ما ألف لغيره من الكتب الدينية ، تجمع أسماء الطيور والنباتات والمدن الواردة فى القرآن ، على أن يقوم بذلك أساتذة مختصون كل فى دائرة اختصاصه

▫ تحدثت فى الأسبوع الماضى عن ضرورة تقديم روايات مؤلفة فى برنامج فرقة المسرح الحديث . وأذكر الآن أن فى برنامج الفرقة الحالى بمسرح الأزبكية روايتين إحداهما مقتبسة ممصرة والأخرى مؤلفة .

▫ من طرائف ندوة الأستاذ كامل كيلانى ما رواه سعادة الأستاذ فؤاد شيرين باشا من أن جماعة من رجالات مصر كمحمد عبده وسعد زغلول — كانوا يجتمعون فى مكان ما ويطلقون أنفسهم على سجيتها فى المرح والدعابة بقصد الاسترواح والاستجمام ، وكانوا يطلقون على أنفسهم « جماعة المتحمرين » فسمع بهم أحد الكبراء وأراد الانضمام إليهم ، فأبدى رغبته فى ذلك لمحمد عبده ، فقال له الإمام : إننا - جماعة المتحمرين - لا نقبل الحمير الأصلاء !

الضبط كما تشتمل عليها الكتابة الطبيعية ، بخلاف ما تكون عليه الحال في الكتابة العربية المقترحة ، فيكون الشبه من حيث الشبك وعدمه فقط

ورأى أن أهم اعتراض يوجه إلى تلك الطريقة ، أن عمال الصف في المطبعة لن يستطيعوا صف الكلمات مشكلة وهي مكتوبة لهم مهملة ، فإذا كلفنا الكاتبين للمطبعة أن يشكلوا لاقوا في ذلك جهداً وعنتاً ، ولا يخفى مع هذا أن أكثرهم لا يعرفون ضبط كثير من كلمات اللغة ، وكم يستر عدم الشكل من جهل !

مسرحيتا الجلف ومريض الوهم

جاءت « فرقة المسرح المصري الحديث » جولتها الأولى على مسرح الأوبرا الملكية في شهر نوفمبر الماضي، إذ قدمت مسرحيتي « ابن جلا » لتيمور و « البخيل » لموليير ، وقد حدثت القراء عنهما في ذلك الوقت . وهاهي ذي تبدأ جولتها الثانية على مسرح الأزبكية ، لتقدم في حفلة واحدة مسرحيتي « الجلف » لتشيكوف و « مريض الوهم » لموليير ، وهما من إخراج الأستاذ زكي طليمات وقد بدأت يوم السبت الماضي

قدمت أولا « الجلف » وهي تمثيلية قصيرة تستغرق نحو خمسين دقيقة ، تظهر في منظر واحد تبدو به السيدة الشابة « بوبوف » في ثياب الحداد على زوجها المتوفى منذ سبعة أشهر ، وهي على رغم ذلك تبكي وتنشج حزناً عليه ، وهذا أيضاً على رغم أنه كان يخونها ويهملها أحياناً ، كما تقول في مناجاة صورته . ويقتحم عليها هذه العزلة رجل ثائر يطالبها بدين كان له على زوجها، وهو يستعمل في مطالبته العنف وعدم المبالاة بما يحسن في مخاطبة النساء ، بل ينهال عليها وعلى جنس النساء شتما وتقريعاً، كل ذلك لأنه يريد دينه اليوم وهي تستمهله إلى بعد غد . وتنشب بينهما مشادة يدعوها فيها إلى المبارزة . . أليس « جلفاً » ؟

ويأخذ تشيكوف (مؤلف المسرحية) في معالجة الموقف بحيث يجعل الميل والاستلطاف يداخلهما فيجتازان بهما البرزخ الدقيق الذي بين الكره والحب . . فينطلقان بعبارات الثورة والغضب وهما يشعران بالحب ، فلا ينزل الستار عليهما إلا حبيبين

فالصراع في المسرحية بين حالتين لدى كل من الجلف والسيدة بوبوف ، فالأول جرب النساء واقتنع أنهن لا يستحققن الاهتمام ، ولكنه يجد نفسه أمام امرأة تنزو قلبه من جديد ؛ والأرملة المتفانية في الحداد على زوجها وقد اعتزلت الناس لا تستطيع مقاومة هذا المقتحم الجبار ، ويخيل إلي أن المؤلف فتح لها الباب إلى هذا الحب الجديد بأن زوجها كان يخونها ويهملها

ومما تبطنته المسرحية ، الالتفات إلى ما تطالب به المرأة من مساواة الرجل ، فلتكن المبارزة من قبيل المساواة التي تطلبها . . كما يقول الجلف مبررا خشونته وقسوته

وقد قامت ملك الجمل بدور السيدة بوبوف ، فأثبتت قدرتها على تمثيل العواطف الدقيقة، وقام محمد السبع بدور الجلف فأجاد، وأظهر ما في إجادته أنه كان يبرز الانتقالات المختلفة في الموقف الواحد بتعبير الإلقاء والحركة . ومثل أحمد الجزيري « لوكا » الخادم العجوز فقام به على وجه لا بأس به

ثم قدمت بعد ذلك مسرحية « مريض الوهم » فاستغرقت بقية الوقت . ومريض الوهم هو السيد (أرجان) الذي يعتقد أنه مريض وأن لا حياة له بغير الطب والأطباء، على حين يبدو في غاية الصحة والعافية . وهو لذلك يريد أن يعقد الأواصر بينه وبين الأطباء كي يولوه عنايتهم، ويصل به الأمر إلى أن يحاول التضحية بسعادة ابنته (انجليكا) إذ يريد أن يزوجها بالطبيب (توما) غير عابئ بحبها للشاب (كليانت) الذي أغرمت به وأغرم بها .

وتظهر مع مريض الوهم الخادمة (توانيت) التي تمتي به ، وهذه الخادمة تقف على دخائل هذه الأسرة وخاصة موقف السيدة (بلينا) من زوجها مريض الوهم الذي تخدعه بإظهار الحب له والمبالاة به وتتحايل على استلاب ماله والتخلص من ابنتيه إذ تشير عليه بإدخالهما الدير . وتعمل الخادمة (توانيت) على إصلاح هذه الأسرة فتحل مشاكل أفرادها بتدبيرها الموفق ، فتظل تساير الرجل في ميوله وتسخر منه أحيانا . ويأتي إليه أخوه (بيرالدو) الذي يخالفه في الثقة بالأطباء ، فينتقد مسلكه ويحمل على الأطباء ويؤكد له أنه في صحة جيدة ، ومما يدل على أنه في غاية الصحة أن أدوية الأطباء لم تؤثر فيه ولم تقض عليه إلى الآن . . وتعمل (توانيت) على ذلك أيضا من ناحية أخرى

وبأسلوبها الخاص من حيث الاحتيال وتدبير المفاجآت . وينتهي الأمر بأن يقتنع السيد أرجان أنه يستطيع هو أن يكون طبيبا . ولا يكلفه ذلك إلا أن يلبس المعطف والقبعة ويحفظ بعض الأسماء اللاتينيــة وينطقها كما ينطق بها هؤلاء الأطباء الذين لا يفضلونه ولا يزيدون عنه علما

تصور المسرحية – إلى جانب تحليل نفسية مريض الوهم – دجل الطب وشعوذة الأطباء في عصر موليير قبل التقدم العلمي في العصر الحديث . وقد قدم نماذج عجيبــة من الأطباء وسخر بهم وأضحك منهم . ولا بد أن كان لهذه المسرحية في وقتها وقع عظيم لأنها تعالج ناحية كانت ظاهرة في ذلك العصر ، ومع أن تلك الظاهرة غير موجودة الآن فإن البراعة في تصوير الشخصيات ، وتنكر شخصية مريض الوهم في العصور المختلفة ، وسياق المآسي الإنسانية في أغلفة الفكاهة – كل ذلك يكسبها جدة وقوة في كل وقت

وقد مثل مريض الوهم عدلي كاسب ، وكان ملائماً للدور كل الملاءمة ، فاندمج فيه . ومثلت الخادمة (توانيت) سناء جميل وهي فتاة تمتاز بالحيوية والقوة في تمثيلها . ومثل (كليانت) صلاح سرحان فكان قويا في موقفه وقد استطاع بقوته الجدية التي يتطلبها موقفه أن يثبت بجانب الشخصيات الفكاهية الطافية ، مثل سعيد أبو بكر الذي مثل (توما) والذي فجر الضحك من أعماق الجمهور ، ومثل أحمد الجزيري الذي مثل الطبيب الأكبر والد (توما) وقد كان الجزيري هنا أحسن منه في مسرحية (الجلف) واستطاع عبد الغني قمر أن يفنى في شخصية السجل العجيبة رغم ما فيها من تعقد والتواء . وقامت زهرة العلى بدور (انجليكا) فكانت معبرة في مواقفها المختلفة وقد تحسن إشباعها للنطق العربي عن ذي قبل وقامت سميحة أيوب بدور الزوجة المخادعة الناعمة ، وأعتقد أن الدور كان يتطلب منها أكثر مما بذلت . وقام محمد السبع بدور أخي مريض الوهم ، فلم يحسن فيه بمقدار ما أحسن في دور (الجلف) مع أنه كان يتحدث من آراء موليير في الطب والأطباء ، فلم يف تمثيله بأهمية الدور

وجهد الإخراج في هاتين المسرحيتين يتجلى في الممثلين والممثلات أنفسهم ، فإن الأستاذ زكي طليمات يخرجهم كما يخرج الرواية ، وقد أحسن تنسيقهم على المسرح ، واجتهد في تحسين المناظر وتجديد الأثاث البالي الذي عرف به مسرح حديقـــة الأزبكيــة . ولكني لاحظت أشياء صغيرة في منظر مسرحية (الجلف) فهناك مكتب أعتقد أن في (سوق العتبة) ما هو خير منه . . وإطار مرآة يحيط بغير مرآة ... ومع ذلك فقد كان البطلان ينظران فيه . . وقد أمسكت السيدة بحبل معلق بجدار الغرفة لتستدعي الخادم والمفروض أن الحبل متصل بجرس في الداخل ولكن لم يسمع أي صوت لهذا الجرس

ولا يستطيع القلم أن يمسك عن الكتابة قبل أن يزجي التحية إلى هذه الفرقة التي أنستنا أنها ناشئة ، وقبل أن أبدي الإعجاب بهذه الروح التي تشيع فيها فتجعل كل فرد منها يعمل لإنجاح الجميع ، وقبـــل أن أعرب عن سروري ببدء . حياة جديدة للمسرح المصري

عباس خضر



ردا على رد :

في عدد سابق من الرسالة الغراء كنت كتبت في (البريد الأدبي) كلمة حول مقال للأستاذ الخطيب الطبيب حامد الغوابي في صدد كلامه على الخمر وقصر العمر وإحصائيات شركات التأمين على الحياة .. وقلت فيها إن العمر لا يقصر بشرب الخمر مستشهدا بقوله تعالى «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا» . وقد تفضلت (الرسالة) فأوجزت ردها البليغ باستشهادها بقول الله تعالى : « وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب » وكنت ارتحت إلى رد الرسالة ولم أشأ التعقيب عليه لأنه الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

ولكن الأستاذ الدكتور الغوابي يتفضل بعد أن تفضلت الرسالة فيعلق على ما كتبته وما كتبته الرسالة زيادة منه في الإيضاح والإفصاح .. ونحن نشكر للأستاذ تفضله الجميل النبيل، ولكنا نختلف معه في قليل مما كتب وبه عقب ؛ نختلف معه في أن شارب الخمر قد يطول عمره على شارب الحديد والكينا وأنواع الأدوية والعقاقير .. وقد يولد التوءمان فيشرب أحدهما الخمر من شبابه إلى مشيبه ويزهد الآخر فيها ، ومع هذا يطول عمر الشارب ويقصر عمر الزاهد فيموت هذا ليمتد العمر بذاك ليشرب ويشرب سنين وسنين ..!

وقد يدهس (الترام) — كحد قول الدكتور — رجلين : شارب خمر وزاهداً فيها فيموت الزاهد وينجو الشارب ..

وقد يلقى ممهوسان أرعنان بنفسيهما من حالق أو شاهق فيموت القوي والضعيف لا يموت ..

وقد يمتد العمر بالعليل الهزيل ولا يمتد بالقوي الصحيح لسبب ظاهر أو لآخر يعلمه الله .. وقد . وقد

وإذاً فمن الواجب على الكاتب أو الباحث أو الطبيب ألا يخلط بين (العمر) و (الصحة) ، وبين القضاء والدواء. فالدواء لا يمد في العمر إذا حل القضاء، وإنما يخفف من وطأة الألم والداء بإذن الله. والأجل إذا حل حل معه الموت الوحي بالرغم من كل داء وكل دواء ..

والله سبحانه وتعالى حين حرم الخمر في كتابه المنزل بين أن « إثمها » أكبر من « نفعها » ولم يحرمها لأنها تقصر العمر فلا يطول ..

والخمر في الجاهلية الأولى معروف أمرها بين القوم ، ومن الجاهليين الشاربين من امتد به العمر حتى ذرف على المائة أو المائتين فعُد في المعمرين . وفي الجاهلية الآخرة — أعني في هذا العصر الحديث — نجد مصداق ذلك بين من نعرف ومن لا نعرف من الناس

ويبقى بعد هذا أن أتوجه بسؤال آخر ينتظر الجواب : لنفرض أن مخمورا أو مصدوما توفاه الله ، فهل وافاه الأجل لأنه شرب أو صدم ، أو هل شرب أو صدم لأن الأجل وافاه ؟

وبعد : فالجواب الصحيح على سؤالنا هذا هو بعينه الجواب الصحيح على سؤالنا ذاك

الزيتون — عرنانه

حول محاضرة الدكتور ناجي

طالعتنا مجلة الرسالة بتعليق موجز على محاضرة الدكتور ابراهيم ناجي عن « الشعر العربي المعاصر » ، وقد كنت أحد الذين استمعوا إلى المحاضرة . ولا بد أن أشهد أن التعليق الذي نشرته « الرسالة » لم يحاول أن يكون منصفا

مثال ذلك أن يرجع حضرة الأستاذ المعقب إلى عبارات التفكه التي وردت في المحاضرة على أنها أقوال جدية ، كقول الدكتور ناجي إنه لم يوجد شاعر تافه إلا لقي في الرسالة بابا مفتوحا لشعره ، ثم حاول التعليق أن يسخر من المحاضر ، فيقول إن ناجي يعزي نفسه بأن الناس لم تحفل بشعره ـ لأن أكثر الشعراء الخالدين لم يفهموا في عصرهم. والواقع أن ناجي لم يذكر ذلك إلا في معرض الحديث عن الشاعر السوداني ميشيل يوسف التيجاني، وهو شاعر غير معروف ، تنبأ له المحاضر بالشهرة في المستقبل ، أما ناجي نفسه فلا أحسب أن عنده شعورا بالنقص من هذه الناحية

فقد خرج شعره من آفاق مصر إلى حيث ترجمه المستشرقون

ويقول الأستاذ المعقب فى سخرية ، إن شوقى سقط أمام ناجى ! وما الذى يمنع ؟ هل تقفون النجاح على الشاعر أم على الشعر نفسه ؟ ؟

ثم تفتخر « الرسالة » بأنها لم تلتفت إلى « ليالى القاهرة » فهل تريد الرسالة ، وهى الصحيفة الأدبية الأولى فى البلاد – أن تفتخر بإهمالها لديوان شاعر – مهما كان رأيها فى هذا الشاعر ؟ ؟ وهل هذه هى سمات محبى الفن ، وأبنائه ؟

وإذا كانت هناك ثمة « عقد » بين الرسالة وبين الدكتور ناجى فإنى آمل أن تحل هذه العقد ، وتتلاشى ، على الأقل حين تكون فى مجال النقد الأدبى المتزن الذى تفيد منه النهضة الأدبية فى البلاد

حلمى منا مقار

رجاء الى معالى الدكتور طه حسين باشا

هذه قضية عادلة نتقدم بها إلى معالى الوزير راجين أن تحظى لديه بالقبول

إن أبناء كلية اللغة العربيـــة حريصون أشد الحرص على التحاقهم بالدراسات العليا بجامعة فؤاد، ولقد حفزهم إلى ذلك شغف بالعلم وكلف به . فليسمح لهم ابن الجامعة البكر أن يتقدموا إليه بهذا الرجاء . إذ ليس من سياسته أن يحرم من العلم راغب فيه وهو الذى جعل العلم حقا للجميع كالماء والشمس والهواء . والجامعة المصرية يامعالى الباشا أسست ليلتحق بها المصريون وغيرهم كما جاء فى خطاب المغفور له جلالة الملك فؤاد « إننى أبتهل إليـه تعالى أن يجعل هذه الجامعة نافعة لطلاب العلم عموماً ، ولشبيبتنا المصرية خصوصاً » ، إذ أننا لم نقدم على هـذا المشروع الجسيم ولم نسهر الليالى بسببه إلا لترقية هذه الشبيبة التى لا يكفينا امتيازها بالذكاء والنشاط والاجتهاد . بل نرى أن يتحتم عليها أيضا أن تتحلى بفضيلتى الصبر والاستمرار لأنهما سر النجاح » فليس عجيبا بعد ذلك أن يتقدم أبناء كلية اللغة العربية إلى معاليك بهذه الأمنية وأنت الذى رأى أنه من الخير أن يسمح للأزهريين بالالتحاق بكلية الآداب بل نفذت هذه الفكرة فعلا فى وقت ما

أفلا يجدر بنا أن نطمع فى تحقيق أمنيتنا فى هذه الآونة التى احتفلت فيها مصر بالعيد الفضى لجامعة فؤاد . ذلك فضـل عظيم يضم إلى أفضالك التى لا تحصى

يامعالى الباشا : نريد أن نحلق فى هذه الآفاق الرحيبة . نريد أن نلتحق بالدراسات العليا فى كليـة الآداب ما دمنا مصريين نحمل مؤهلات عالية

رغبة ثانية وهى شقيقة الأولى وهى أن يتكرم معالى الباشا فيجعل لنا الحق فى الالتحاق بمعهد اللغات الشرقية مادمنا متساوين مع كلية دار العلوم فى اللغات الشرقية

رغبتان أكيدتان نرجو أن يتقبلهما صدر الوزير . ولن يتنافى ذلك مع ما يهمسون به من إعادة تخصصات المادة إذ أن أبناء كلية اللغة العربية يريدون أن يكون لهم الحق فى الدراسات العليا فى جامعة فؤاد حيث البحث المنتج وحرية التفكير والنقد على وجه الاستقلال ؛ لأن ذلك هو أساس التعليم الجامعى وليس الحفظ والتصديق أسكل ما يقال كما يسجل معالى السيد لطفى باشا فى مقال له . فمن أراد من أبناء كلية اللغة أن يلتحق بتخصص المادة كان له ما أراده ومن أراد أن يتوجـه إلى الدراسات العليا فى كلية الآداب وجد الطريق ممهداً أمامه، وأخيراً : نأمل أن يعجل معالى الباشا بتحقيق هاتين الرغبتين

عز عمر

أين المراجع :

قرأت المقال الممتع الذى كتبه زميلى الأستاذ محمود رجب البيومى تحت عنوان : أديب يتماظم

وقد لاحظت أن صديقى الفاضل قد وعد القراء فى مقدمة حديثه بذكر المراجع التى اعتمد عليها ليبرأ من التقول أمام الأستاذ محمد كرد على – ومن العجيب أنى بحثت متعمداً عن هذه المراجع فى هوامش الرسالة ، وفى خاتمة المقال فلم أجد لها ظلا . فهل نسى الكاتب وعده أم أحسن الظن بجميع القراء . وهم فى بعض حالاتهم لا يفطنون إلى مراجعه الدفينة فى حفائر المكاتب فلعل الأستاذ يسمح بذكرها للقراء برا بوعده

محمد خالد حنفى

شبـــــــــــاب

وغانيـــــــــــات

قصة الحب والحيــــــــــــاة والجمال

تأليف

محمود تيمور

الناشر

مكتبه عيسى الحلبي

بخان جعفر بالحسين بالقاهرة

الثمن : ٢٠ عشرون قرشاً مصرياً

مطبعة الرسالة